441

HARLEQUIN

روايات أحلام

تمضي وحيدة

كلير باكستر

www.elromancia.com
مرمورية

تمضي وحيدة

لطالما أحبت ديللا صديق الطفولة لوك في السر. وعشقت ابتسامته الساحرة وعينيه الأسرتين. ولكن المشكلة أن لوك يريد أن يكونا مجرد صديقين. وعندما سافر الى الخارج، فقدت حتى صداقته...

غير أن لوك عاد فجأة الى أديلايد. فأضاء عالم ديللا مجدداً. فهل تكشف له عن مشاعرها الدفينة وتخاطر؛ أم تكتفي بحبه سراً؟

www.elromancia.com

3000 ل.ل		1 دينار	
100 ل.س		10 ريال	
1.5 دينار		جنيه	
750 فلس		15 درهم	
10 دراهم		2.50 دينار	
10 ريال		1 ريال	

روايات أحلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية
محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
بترخيص خطي من *Harlequin Books S.A*

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال
تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة *Harlequin Books S.A*

العلامة التجارية *Harlequin* وشعار *Joey* هما ملك شركة *Harlequin Books S.A*
وهما مستعملان هنا بترخيص منها

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص
حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:
Best friend... future wife
First Puplished in Great Britain 2007
Harlequin Mills & Boon Limited
©Claire Baxter 2007
Translation © Dar El-Farasha - 2009
ISBN 978 - 9953 - 15 - 409 - 1

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - سنتر زعرور -
ص.ب: 8254/ 11 هاتف/ فاكس: 453115 - 450950-1-961- بيروت - لبنان
Email: info@darelfarasha.com - http:www.darelfarasha.com

أعزائي القراء

لأننا عوّدناكم دائماً على أجمل الروايات العاطفية... ولأننا نعرف أن قراءنا لا يرضون بأقل من الأفضل... ولأن هدفنا دوماً المحافظة على واحة حب تخفّف من وطأة الآلام والهموم في عالمنا... لهذا، اخترنا أن تكون هديتنا إلى قرائنا هي انضمامنا إلى أسرة هارلكوين Harlequinالعالمية.

لماذا هذا الاختيار؟

لأن شركة Harlequinهي رائدة الروايات الرومنسية في العالم أجمع، وهي تتعاون مع أفضل الروائيات في هذا المجال، وتصدر شهرياً أكثر من ٧٠ عنواناً جديداً.

ستظل روايات أحلام على سابق عهدها من حيث اختيار القصة الشيّقة والأسلوب الرفيع واللغة السليمة... والتغيير الذي ستلاحظونه هو في زيادة عدد الروايات شهرياً، وتنوع الموضوعات لتناسب جميع الأذواق، وسيكون لمشاركتكم باختيار المواضيع المفضلة لديكم وبأسماء الروائيات اللاتي أحببتموهن، الدور الأساسي.

بكل إخلاص
أسرة أحلام

١ـ عودة الغائب

قالت ديللا دافيس حين رن هاتفها: «آمل ألا يكون هذا طوم».

ومدّت يدها إلى حقيبة يدها تفتش عن الهاتف فيما حركت المقود بمهارة باليد الأخرى لتنعطف السيارة. لم يكن ينقصها اتصال آخر من طوم ديرمونت، ذاك الزبون الجهنمي. لقد أمضت معظم النهار معه.

بعد أن أوقفت السيارة جانباً، فتشت جيداً في حقيبتها الجلدية الكبيرة وانتشلت الهاتف من بين الأغراض وتسلّحت بالقوة لتنظر إلى رقم المتصل. إن كان طوم فسوف تصرخ. إنما يستحسن بها أن تصبر.

توقف الهاتف عن الرنين فيما هي تهمُّ بالإجابة. رائع! أغلقته بسرعة ورمته في حضنها متمنية لو تضعه خارج الخدمة نهائياً، لكن ضميرها لن يطاوعها ولن تذعن وإلا ستخسر الكثير بما في ذلك الترقية التي عملت جاهدة لأجلها.

ومع ذلك، فقد سئمت طوم، لأن ما فعله في يوم واحد يكفي. إنه الشخص الأثقل على قلبها في الأيام العادية وكابوسها في فترة الأزمة هذه.

قالت لنفسها بصوت مرتفع: «ذكريني لماذا تحبين عملك».

أتى الصمت كردٍّ وحيد، وهزت كتفيها بلا مبالاة مستغربة إحساسها بالانقباض. تحتاج لحمام برائحة اللافندر لتشعر بالاسترخاء، وتخيّلت نفسها تنسَلُّ في السرير... ليس لتنام. فهي تحمل معها الملفات إلى المنزل حيث تعمل لساعات حتى تغفو.

قفزت ديللا من مكانها عند سماع رنين الهاتف. شعرت بالارتياح

لسماع صوت صديقتها المفضلة المفعم بالفرح. هذا ما تحتاجه فهو العلاج الأمثل لحالتها. قالت: «أنا في السيارة».

سمعت ديللا عبر الهاتف صوت جايمي البالغ من العمر أربع سنوات يغني بأعلى صوته، وكايسي تملأ السيارة بصراخها.

قالت لين: «لدي أخبار رائعة».

اتسعت عينا ديللا استغراباً لكنها ابتسمت لحماسة لين قائلة: «وإلى أين ستذهب هذه المرّة؟».

- إلى أين ستذهب؟

- أجل لين، لأني بت أملك ما يكفي من الأحذية لذا آمل ألا يكون هذه المرّة...

- لا، اطمأني فلن أقصد متجراً يقدم حسومات.. لوك عائد إلى الديار.

استغرق استيعاب هذه الكلمات بضع لحظات وأغمضت عينيها تسألها: «ماذا قلت؟».

- مفاجأة، أليس كذلك؟ لكنها جيدة. أكاد لا أصدق متى أراه.

دهشة ديللا منعتها من الكلام. وراحت تتساءل ماذا فعلت لتستحق هذا كله. فبعد كل ما مرّت به اليوم، لم يكن ينقصها هذا الخبر.

لم تكن كلمة صدمة لتعبّر فعلاً عن حالتها. كانت تعلم أن لوك سيعود يوماً، لطالما قال إنه لن يبقى إلى الأبد خارج البلاد. لكنها توقعت أن ينذرها، أن يمنحها وقتاً لتحضر نفسها قبل رؤيته مجدداً مع زوجته.

- ديللا؟ آلو؟ هل تسمعينني؟

خرجت ديللا من شرودها. فبعد سنوات من إخفاء مشاعرها عن لين، لن تفضح نفسها أمامها الآن.

بدا صوتها شبه طبيعي وهي تسأل: «هل قلت إنه سيعود للديار؟ أتعنين أنه وإيفون سيعيشان هنا».

ضحكت لين مجيبة: «عاش بما يكفي في الهند على ما يبدو. وها هو

يعود إلى أديلايد وعائلته المحبة. الأمر لا يصدق، أليس كذلك؟».

علق لسانها في فمها وهي تحاول أن تقول، «فعلاً... متى سيعود؟».

فأجابت: «أنت تعرفين أخي، فهو يحب المفاجآت. اتصل بي من ملبورن أثناء انتظاره لطائرته. لذا تريدك أمي على العشاء الليلة».

- الليلة...

اختلطت الأمور على ديللا ولم يعد عقلها يستوعب ما يجري ولم تعد تعرف ماذا تقول.

- أنا في طريقي إلى منزل أمي. كوني هناك عند السابعة والنصف تماماً. اتفقنا.

نظرت ديللا إلى الساعة أمامها واعترضت: «لكن... لن يكون لدي ما يكفي من الوقت للذهاب إلى المنزل والعودة مجدداً».

- لا تفعلي. تعالي مباشرة. سأعد لك عصيراً طازجاً ينعشك بعد نهار عمل طويل أعرف أنه أرهقك.

قالت وهي تفكر في الاعتذار: «لا سيما اليوم».

لكنها لن تتمكن، فوالدة لين تعاملها أحسن مما تعاملها أمها الحقيقية وهي لم ترفض يوماً دعوة دون ولن تبدأ بذلك اليوم.

لكن لوك سيكون هناك.

قالت لين: «كدت أنسى أن أسألك إن ذهبت إلى موعدك اليوم، فهل فعلت؟».

انقبض صدرها لنبرة لين المتعاطفة معها. وردّت بحدة: «أجل».

منذ ذلك الموعد لم يتسنَ لها الوقت لتضمّد جراحها، فعبء الأعمال وكثرتها حرمتها ذلك.

- وماذا قال لك الطبيب، عزيزتي؟

كانت قد عرفت الحقيقة لتوّها فاختارت أن تؤجل الكلام: «ليس الآن، سأخبرك لاحقاً».

عاد صوت جايمي ليملأ أذني ديللا للحظة قبل أن تسمعها تقول:

www.elromancia.com

«حسناً سأجعله كوب عصير مضاعف».

أقفلت ديللا الهاتف وأسقطته في حضنها وهي تفكر بحاجتها لذاك العصير المنعش. طوم ديرمونت ثم دكتور مورغان والآن لوك وزوجته. يا له من يوم!

عليها أن تتماسك. لحسن الحظ أنها ارتدت أفضل بذاتها الرسمية ووضعت في حقيبة يدها بعض أدوات الماكياج. سيكون مظهرها أمامه لائقاً على الأقل. شغلت السيارة مجدداً ثم تردّدت وهي تعض شفتيها. لن تتمكن من الذهاب فقد راح قلبها يخفق اضطراباً.

كلا. لن تستسلم للاضطراب، فهي تستطيع الذهاب. إنها خبيرة في إدارة الأزمات والشخص الذي تتكل عليه الشركة لإعادة الأمور إلى نصابها والتخلص من الفوضى. كل ما عليها فعله هو التستر وراء ملامح امرأة الأعمال.

تماماً كما فعلت أثناء الزيارات القليلة التي قام بها خلال العقد الماضي.

وتماماً كما فعلت حين أتى بعروسه الجديدة ليعرّفها إلى أفراد العائلة منذ بضع سنوات. فقد ابتسمت وهنأته بحرارة كما لو أنها لم تشعر نحوه بسوى حنان أخوي.

كانت تخدعهم حينذاك وستفعل مجدداً. ليتها فقط تملك مزيداً من الوقت لتعتاد على فكرة رؤيتهما معاً يعيشان هناك!

أدارت السيارة وتوجهت شرقاً.

ما زالت عائلة لين تعيش في المنزل الفخم ذاته في الشارع عينه الذي تحف به الأشجار في الضاحية الفخمة نفسها حيث ترعرع لين ولوك، والتي تختلف عن الحي الذي عاشت فيه طفولتها.

كان والداها ينتميان إلى الطبقة العاملة، لكنهما خاملان وهي بالكاد تصدق أنها ابنتهما. كانا يكرهان صداقتها بلين و«الطموحات الكبرى» التي تزرعها فيها. فما العيب في التحاقها بالجامعة والحصول على وظيفة

مرموقة؟ لم يكن في الأمر عيب وقد أظهرت لهما ذلك. تنهدت، فحتى الآن وبعد رحيلهما من حياتها لا تزال تشعر أن عليها أن تثبت شيئاً ما... لكنها لا تعرف ما هو ذاك الأمر.

كانت تمضي كل لحظة من أيام مراهقتها في منزل لين. كانت تحب ذلك، لأنّ الفرح يغمر المنزل. لم تكن تقصده من أجل سمعة عائلة برايفرود أو أموالها بل لأن دون وفرانك برايفورد شغوفان بولديهما حقاً، وقد عاملاها كأنها واحدة منهم. كانت تحصل من العائلة على دعم يفوق ذلك الذي تمنحها إياه عائلتها.

بعد أن ركنت السيارة في الشارع أمام المنزل، مكثت ديللا بعض الوقت فيها تستجمع دفاعاتها. لن يكون لوك في المنزل لذا ما من شيء تخشاه. لم تكن المشكلة في خوفها من لوك نفسه بل من مشاعرها تجاهه.

ثلاثة عشر عاماً مضت. هل مضى فعلاً وقت طويل على رحيله عن أديلايد سعياً وراء الوظيفة الحلم؟ لماذا لم يعمل الوقت على إخماد مشاعرها تجاهه؟ توقعت أن تتخطى تلك المشاعر، وقد عملت على ذلك. لكن ها هي الآن بعد ثلاث عشرة سنة تشعر بمعدتها تنقبض لمجرد فكرة رؤيته من جديد. صعب عليها أن تصدق أنه عائد إلى الديار ليبقى، فالمكوث في مكان واحد ليس من طبيعته أو على الأقل لم يكن يوماً. لعل زوجته سبب تغيّره رغم أنها لم تبدُ من النوع الذي يحب أن تتدخل عائلته في حياتهما.

شكت ديللا في أن تكون لين قد اساءت فهم القصة. أو لعل دون ظنّت نتيجة حماستها أنه ينوي العودة نهائياً. لا بد أن الأمر يقتصر على مجرد زيارة أخرى، ليس إلاّ.

لكن سرعان ما خطر لديللا أنه ربما يسعى إلى تأسيس عائلة مع زوجته. قلبت الفكرة أمعاءها وعادت معدتها للانقباض.

تنفست عميقاً وبطيئاً.

في تلك الحالة، لم يكن من الصعب فهم سبب الانتقال، فأديلايد هي

www.elromancia.com

المكان المثالي لتأسيس عائلة. ولو كان الأمر صحيحاً فعليها أن تمضي في حياتها، وهي تستطيع ذلك ولو كان الأمر سيقطّع قلبها.

خرجت من سيارة المرسيدس الرياضية وهي أكثر هدوئاً.

كانت تتباهى بنفسها لأنها لا تستسلم للنزوات عند اتخاذ أي قرار بشأن التزام مالي مهما كان نوعه. لكن السيارة شذّت عن القاعدة. ففي لحظة، أغرمت بالسيارة وقررت شراءها.

فتحت لها لين الباب قائلة: «عليك أن تري المطبخ فوالدتي تحاول تحضير كافة الأطباق المفضلة لدى لوك. أعلم أنه من الرائع رؤيته مجدداً، لكنني في الواقع...».

عند دخول ديللا إلى المنزل أشارت لين بإصبعها نحو باب بعيد عن الصالون الواسع قائلة: «تفضلي إلى غرفة الاستقبال حيث أعددت لك العصير كما وعدتك».

أجابت ديللا وهي تسترق النظرة إلى باب المطبخ: «ربما يجدر بي مساعدة والدتك».

فأمسكت لين بذراعها: «لا تفعلي، فهي تود تدليل ابنها المفضل. أفضل ما يمكننا فعله هو تركها تقوم بذلك وحدها».

سمحت ديللا للين بقيادتها نحو غرفة الاستقبال المريحة. وأعطتها بعد جلوسها على الأريكة كأس العصير الأكبر الذي رأته في حياتها.

- من أين لك هذه الكأس؟ هل أنت متأكدة من أنها ليست إناء زهور؟

هزّت لين كتفيها تقول: «إن كانت كذلك فهي القطعة الثانية كالتي أحمل».

وارتشفت القليل من العصير مضيفة: «إني أعدّ عصيراً جيداً».

وافقتها ديللا الرأي بعد أن شربت القليل.

قالت لين وهي تجلس بحذر على الأريكة المقابلة، حاملة الكأس في يدها: «أعلم أنك لا تريدين الحديث عن الطبيب الآن، لكني أريد أن

أعرف ماذا جرى حين تصبحين جاهزة للحديث، في أي وقت سواء أكان نهاراً أم ليلاً. في كل الأحوال أنا أبقى مستيقظة مع كايسي».

- أعلم ذلك وسأكلمك بالأمر لكني أحتاج لاستيعابه أولاً. ما رأيك في الخروج في إحدى أمسيات الأسبوع لنتحدث ونتناول العشاء.

أجابت لين بتعابير وجه قلقة: «فكرة ممتازة. سأرى متى يمكن لباتريك البقاء مع الولدين. سأحاول أن يكون ذلك غداً مساءً. هل سيكون الموعد بيننا قريباً إلى هذا الحد؟».

أومأت ديللا برأسها إيجاباً. كانت تأمل أن تحصل لنفسها على بضع دقائق في الساعات الأربع والعشرين المقبلة، كي تتمكن من التفكير بهدوء وتقبّل الفكرة.

وصل إليهما صوت صراخ طفل فتنهدت لين قائلة: «إنها كايسي، لقد استيقظت في موعدها تماماً. كنت آمل أن تبقى نائمة طيلة فترة تناول العشاء».

- أين جايمي؟

- مع والده في المحترف، يشاهدان نماذج الطائرات. يستحسن بي أن أذهب إلى كايسي.

راقبتها ديللا ترحل قبل أن تضع كأسها على الطاولة وتنتهز الفرصة للتسلل إلى أقرب الحمامات. أثناء إصلاحها لزينتها فكرت ديللا للمرة المليون كم هي محظوظة لأن لين صديقتها. ولطالما شعرت بذلك، منذ ذلك اليوم على الشاطىء حين كانتا مراهقتين وأنقذتها لين بعد أن اكتشفت متأخرة أنها لا تحمل ما يكفي من النقود لدفع ثمن طبق السمك والبطاطا الذي طلبته. شعرت حينذاك بالخجل الشديد وهي تتنحى جانباً وتسمح للين بأن تدفع عنها وتصر على شراء العصير لها والبقاء معها طيلة النهار.

هزت ديللا رأسها. إنها تتذكر تفاصيل أحداث ذاك النهار وكأنه حدث البارحة. لعل لين لم تعد تتذكره.

قبل أن تفترقا ذلك النهار حرصت ديللا على أن تأخذ عنوان لين مصممة على إعادة المال إليها حالما تجمع المبلغ. لكن حين نجحت في ذلك وقفت عند البوابة الحديدية خائفة من فتحها.

عندئذ وصل لوك. بدا لها أنه يكبرها بأكثر من سنة واحدة فحضوره كان قوياً جداً بجسمه المفتول العضلات. لم يساعد حجمها الصغير ونحافتها أمام طوله حين وقف بجانبها كالبرج وكاد يخيفها لولا ابتسامته، تلك الابتسامة التي تذيب القلب وتخطف الأنفاس.

تنهدت ديللا ودسّت علبة الماكياج في حقيبتها. وعندما خرجت من الحمام سمعت أصواتاً بالقرب من باب المنزل.

- إنها سيارة الأجرة. لقد وصلا.

سمعت ديللا صوت ميغان، وهي أخت لين الصغرى مدللة العائلة البالغة من العمر خمسة وعشرين عاماً. كانت تنادي والدتها دون التي انضم صوتها المتحمّس إلى أصوات الباقين.

لم تخرج ديللا إليهم، فهذه اللحظات مخصصة للعائلة فقط، لأفراد العائلة التي لم تكن جزءاً فعلياً منها. في غرفة الاستقبال، رفعت كأسها وتوجهت نحو الأبواب المؤدية إلى الردهة الواسعة. انحنت فوق الحافة التي تصل إلى الخصر وارتشفت العصير من كأسها وهي تتأمل الحديقة المرتبة. سمحت للشعور بالسكينة الذي منحته الحديقة أن يتغلغل فيها.

- ها أنت يا حلوة!

أحسّت ديللا بهزة عنيفة تنبعث من أعماقها فأوقعت القليل من الشراب على الأرض. لطالما أثر فيها صوته فهو يستفز أعصابها ويجعلها جاهزة للرد على أي كلمة يقولها. استدارت نحوه.

يا إلهي! يبدو مذهلاً. في المرة الأخيرة التي رأته فيها كان شعره الأشقر الغامق قصيراً، لكن منذ ذلك الحين صار شعره طويلاً كما أنه بات رياضياً أكثر. اعتقدت أن المظهر لم يعد مهمّاً جداً طالما لم يعد يظهر على شاشة التلفزيون.

اتسعت ابتسامته عندما لاحظ الكأس الضخمة التي تحملها. واشتدت قبضتها على الكأس تماماً كما انقبضت عضلات معدتها. تلك الابتسامة القاتلة تخدمه جيداً من دون شك.

لمعت عيناه الرماديتان عند النظر في وجهها وقال: «لا بد أنك تشعرين بالعطش».

قاومت رغبتها في رمي نفسها عليه قائلة: «إنه يخفف الضغط النفسي».

لكنها ندمت على قولها حالما خرجت الكلمات من فمها، وشعرت بندم أكبر حين قطب.

وسارعت إلى القول: «كان نهار عمل شاق».

زاد تقطيب وجهه وسألها: «ألا تحبّين عملك؟».

- بالطبع أفعل. لا داعي لأن أخبرك بمدى الضغط في العمل، مهما كنت تستمتع به.

هو وحده يعرف حقيقة ما تعنيه. فعلى مدى عشر سنوات عمل كمراسل خارج البلاد يسافر متنقلاً بين مناطق العالم الساخنة لا سيما في آسيا، لتغطية النزاعات والكوارث. لم يكن يسعى وراء العناوين العادية بل تخصص في ملاحقة الأخبار التي لا تأخذ حقها في التغطية الإعلامية فألبسها وجهاً إنسانياً.

قالت: «حسناً، ما أخبارك؟ كيف حالك؟».

راقبها للحظة قائلاً: «حسناً، أولاً أين التحية والعناق؟ لقد سلّم عليّ الجميع هنا، فقد كنت غائباً عن البلاد لفترة أم أنك لم تلاحظي».

- بلى، طبعاً.

وانحنت قليلاً وعانقته بيد واحدة مبعدة اليد الأخرى التي تحمل الكأس.

عانقها بحرارة أكثر من عادية، فقد أحسّت بحرارة جسده من خلال القميص. وسرت في عروقها حرارة من نوع آخر. إذ ذكّرها هذا العناق

بما يعنيه أو بما يجب أن تشعر به عند الانجذاب لرجل. وبعد أن قبّل وجنتها، ابتعدت عنه بسرعة.

أوحت لها ابتسامته الماكرة أنه يعرف سبب ابتعادها عنه بتلك الطريقة. لكن لا يمكنه أن يعرف فكيف يفعل وليس بينهما ما يدلّ على انجذاب أحدهما للآخر.

سمحت لنظراتها بأن تتفرس في وجهه. ما زال أنفه ملتوياً قليلاً منذ تحدّته لين للتزحلق على الدرابزين، وقد لامت نفسها عندما سقط على أنفه على السلم. ما كان عليها أن تتحداه فهي تعرفه جيداً وهو الذي لا يرفض التحدي. لطالما كان كذلك وما زال.

قاطع تحديقها قائلاً: «تبدين رائعة، لا يبدو أنك كبرت يوماً واحداً منذ رحلت».

لم يكن بإمكانها قول الشيء نفسه عنه، فالمخاطر التي عاشها وحياة البراري رسمت الكثير من التغضنات حول عينيه، وهذه الخطوط تزداد عمقاً كلما ضحك. لكن ذلك لم يكن بشعاً بل جعل تقدم العمر ملامح وجهه مثالية.

- أليس لديهم أطباء عيون حيث كنت تعيش؟

تجاهل سؤالها معلقاً: «أحببت ما فعلته بشعرك. يناسبك قصيراً. يعطيك نفحة من الغموض».

- بالنسبة لبرغوث صغير؟

- لم يكن قصيراً حين أتيت المرّة الماضية، أليس كذلك؟

- كلا. لقد قصصته حديثاً.

لم تكن تظن أنه لاحظ ذلك منذ ثلاث سنوات، فقد كان يصب اهتمامه على زوجته. شكت في أن يكون قد لاحظ وجودها أصلاً.

لم يحلق ذقنه منذ فترة بسبب طول فترة الرحلة، ما زاد ملامحه جمالاً وإثارة. كان ردّ فعلها تجاه لوك يتناقض تماماً مع النفور الذي تشعر به عند مواعدتها الرجال الآخرين.

وشعرت فجأة أن ملابسها الرسمية جداً تتناقض مع جينز لوك الممزق وسترته العادية: «أترتدي السترة نفسها التي اعتدت أن تلبس عندما كنا أولاداً؟».

منذ أن توقف عن عمله كمراسل صحفي واستلم إدارة ميتم تدنى راتبه كثيراً من دون شك، لكنه لن يصبح يوماً فقيراً. فقد ترك له جده حساباً مصرفياً يكفل له عيشاً كريماً.

هز كتفيه: «لا أتخلى عن هذه السترة بسهولة، فهي تحمل قيمة عاطفية بالنسبة لي».

رمقته بنظرة مشككة، فضحك وقال: «كما أنها مريحة».

- لا بد أن الراحة تحمل أهمية كبرى في عالمك. وإلا لما قمت بنزهات في أفغانستان....

- لا تقل لي يا لوك إنك بدأت تضايق ديللا.

استدارت ديللا نحو دون التي انضمت إليهما.

وأضافت والدته: «لقد اكتفينا من مشاجراتكما التي لا تنتهي منذ كنتما ولدين».

أجاب لوك وهو يحيط خصر والدته بذراعه ويشدها نحوه: «في الواقع، كنت أعبّر لها عن إعجابي بقصة شعرها. لكنها لا تصدقني بأنها تبدو رائعة الجمال».

نظرت دون إليه وقالت: «لا ألومها فقد اعتدت أن تضايقها. لكنها جميلة فعلاً، أليس كذلك؟».

واستدارت لتتفحص ديللا وتضيف: «أظنه يجعلهاتبدو مثل أودري هيبورن».

ضحكت ديللا: «أشبهها؟ أنت واهمة دون. أما أنت لوك فآخر شخص يمكن أن أصدّقه».

كانت ديللا فخورة بنفسها لأنها بدت هادئة ومتماسكة. لم يكن أحد ليظن أنها تشعر بالعكس تماماً. لا يمكن لأحد أن يعرف أنها أمضت أكثر

www.elromancia.com

من نصف حياتها تقارن كل رجل تلتقيه بالشخص الذي يقف بقربها، وقد رفضتهم جميعاً لأنهم لا يصلون إلى مستوى الرجل المثالي الذي أحبته.

توجهت دون إلى لوك بالقول: «ظننت أنك ستجلب إيفون معك. لا تقل لي إنك تركتها في الهند».

تاهت نظرات لوك لبرهة وعندما عاد ينظر إلى والدته كانت ملامحه خالية من أي تعبير.

- أجل لا تزال هناك على حدّ علمي، سأشرح الموقف حين نجتمع.

لمع الفضول في عيني دون وقالت: «هيا لنأكل. تفضلوا إلى غرفة الطعام».

ما أن أخذ الجميع أماكنهم حول طاولة الطعام حتى تمنّت ديللا لو أنها فعلاً فرد من العائلة. هذا ما تتمناه دوماً لأولادها، منزلاً مليئاً بالدفء والمرح.

نظرت أمامها وهي تضع فوطة الطعام في حضنها وتحارب دمعة عالقة في عينيها. لن تسمح لها بالسقوط الآن.

٢ - ليلة صعبة

سألته بوبي وفمها مليء بالسلطة: «هل أتيت لتبقى حقاً؟».

نظر لوك إلى أخته الصغرى وصعب عليه أن يصدّق كم كبرت منذ آخر مرّة رآها فيها. وردّ بلهجة غيظ مصطنعة: «كم مرّة عليّ أن أكرّر؟».

فأجابت: «أجل، أعلم. لكن ألن تشعر بالملل هنا؟».

فردّ لوك: «لا أعتقد ذلك».

- لكن ما من حروب هنا. ما من مشاكل في أديلايد.

ردّت دون: «حمداً لله، نحن محظوظون جداً لأننا نعيش في أكثر مدن العالم أماناً. أعتقد أن لوك عايش ما يكفي من الحروب وإلى ما هنالك».

ابتسم لأمه التي لا تفوت فرصة لتخبره أنه مجنون لاختياره المكان الذي يعيش فيه، لكنها لم تنتقده يوماً. مع أنها لم تفهم خياراته إلاّ أنها احترمت حقه في اتخاذ القرارات. عاد ونظر إلى والده الذي تحوّل شعره الرمادي إلى أبيض وتمنى لو لم يسبب له كل ذلك القلق على مرّ السنين.

إلى جانب والده جلست أخته ميغان المستغرقة في نقاش عميق مع صهره باتريك. يبدو أن زواج أخته لم ينجح وحسب بل هو من أنجح الزيجات. ثم نظر إلى لين التي تحمل طفلتها بين ذراعيها وابنها إلى يمينها. أصبح لديه الآن متسع من الوقت للتعرف إليهما جيداً وهذا ما ينوي فعله بالضبط.

لقد اكتسبت لين النحيفة بعض الوزن وهذا يناسبها تماماً. التقت

www.elromancia.com

نظراتهما فضحكت عيناها له، وابتسم لها بالمقابل. لطالما كانا صديقين بسبب عمرهما المتقارب. هم الثلاثة كانوا أصدقاء. واستقرت نظراته على ديللا العضو الثالث في العصابة الصغيرة.

إن كان يظن أن أختيه تغيرتا فلن يجد الكلمات التي تعبّر عن مدى تغيّر ديللا. كانت لا تزال نحيفة وقصيرة لكنها أكثر ثقة بنفسها وبجمالها وجاذبيتها. بدت في حالة صفاء كأن لا شيء يمكن أن يهزها. كنت ترشح أنوثة بشعرها القصير جداً الذي يبرز وجنتيها، كما أحب عنقها الذي تبرزه ياقة سترتها. في الماضي كان شعرها الطويل الأسود يغطي وجهها ويقف كحاجز بينها وبين العالم الخارجي.

لعلها تخطت خجلها من قصّ شعرها. في الواقع لم يكن خجلاً بالمعنى الحقيقي بل إحراجاً من بيتها ووضعها الاجتماعي.

رفعت ديللا رأسها لتنظر إلى لين فسحرته عيناها الواسعتان السوداوان اللتان أبرزتهما بزينتها الناعمة. وكان عليه أن يعترف أنهما علامتان ساحرتان في وجهها.

ظل يراقبها ولم يستطع نزع عينيه عنها. كانت تبتسم وهي تتحدث إلى لين وتداعب جايمي وكايسي، لكن عيناها لم تبتسما. لاحظ أنها حزينة لكن لماذا وهي التي تبدو وكأنها حصلت على كل ما في العالم.

هي ليست حزينة على والديها بالطبع فهما لا يستحقان حتى أن تفكر فيهما حتى. انقبضت معدته وغزته موجة عارمة من الذكريات. ورأى في إحداها أمه تأخذ ديللا إلى الطبيب الذي أخبرها أن سبب صغر حجم ديللا يعود إلى سوء تغذيتها. في السنوات الأخيرة، رأى الكثير من الأطفال المصابين بسوء التغذية وفكرة أن تعاني ديللا من الأمر نفسه جعلت دمه يغلي في عروقه. إنه يعلم أن والديه فكرا بتبنيها لكن شيئاً ما حصل حتماً ومنعهما من ذلك.

وبينما هو يراقبها ابتسمت ديللا لجايمي. فلما انفرجت شفتاها وبللتهما بطرف لسانها شعر لوك بمعدته تنقبض وكأنه انجذب نحوها

غريزياً، لكن هذا لا يمكن أن يحصل.

- وماذا تنوي أن تفعل؟

نقل لوك نظراته من ديللا إلى أبيه ومال إلى الوراء قائلاً: «بشأن ماذا؟».

- العمل؟

فأجاب مبتسماً: «لقد حصلت على عرض عمل».

جفف فرانك فمه بالفوطة قائلاً: «أحقاً؟»

أومأ الابن برأسه مجيباً: «لم أحسم الأمر نهائياً بعد، لذا لا أود التكلم كثيراً بالأمر. لكنه مع الجمعية الخيرية نفسها التي كنت أعمل معها في الهند».

- هل تملك مقراً هنا في أديلايد؟

- أجل.

صوت قرقعة لفت انتباه لوك مجدداً نحو ديللا. فرأى وجنتيها تحمرّان مع التقاطها الشوكة عن الأرض.

- بالحديث عن الأعمال ديللا، متى ستتركين العدو؟

ازداد احمرار وجنتيها وهي تتساءل: «العدّو».

- حسناً عدوّ كلمة قوية، لكن العاملين في العلاقات العامة هم حرّاس الأبواب الذين يعيقون عمل صحفيين مثلي ويمنعونهم من الوصول لتفاصيل.

قطّبت ديللا قائلة: «لولا العاملين في العلاقات العامة أمثالي لاضطر الصحفيون أمثالك للعمل أكثر. فنحن نقوم بمعظم العمل عنكم ونؤمن لكم المعلومات التي تحتاجون».

- كل المعلومات التي تريدون لنا معرفتها.

- لولانا لكنتم مضطرين للعمل بجد أكبر والبحث بأنفسكم عن المعلومات.

شعرت بوخز الضمير وهي تقول مثل هذا الكلام للوك الذي لا يمكن

اتهامه مطلقاً باستسهال الأمور. فهو لا ينتمي أبداً إلى ذاك النوع من الصحفيين، لكنها كانت في حالة دفاع عن النفس. وتابعت الحديث إذ لم تتمكن من ردع نفسها: «معظم الأخبار الواردة في الصحف تصدر عنا نحن العاملين في حقل العلاقات العامة، سواء أكنا متخصصين بالشؤون الداخلية أو مستشارين بالقضايا الخارجية...».

- حسناً أعترف أن ثمة صحفيين خولين. على بعضهم أن يخجل من نفسه سيما الذين يجترون الخبر ويوقعون أسماءهم في أسفله. لكنني أقصد المراسلين الذين يهتمون بالبحث عن الحقيقة ويجدون الطريق أمامهم مقفلاً بسبب العاملين في العلاقات العامة ممن يسعون إلى تنظيف ساحة زبائنهم.

تدخلت دون قائلة وهي تشير بإصبعها لابنها: «حسناً، يكفي الآن يا لوك. تعلمين أنه لا يقصدك يا ديللا، إنه يحاول إغاظتك كالعادة فتجاهليه».

واستدارت نحو لوك مضيفة: «ديللا بارعة في عملها لذا دعها وشأنها. إنها تسعى للحصول على ترقية كبرى».

واعترضت لين قائلة: «أنت لم تعد صحفياً منذ حوالى ثلاث سنوات، إن لم أكن مخطئة».

ابتسم لها مجيباً: «لكني ما زلت مخوّلاً الدفاع عن المهنة».

كانت أمه محقة نوعاً ما، فبالرغم من استمتاعه بإغاظة ديللا إلاّ أنه طرح الأمر بشيء من الجديّة. لكن الوقت والمكان ليسا مناسبين لمناقشة مثل هذه المسألة. ضحك لديللا وحصل من فمها الجميل على ابتسامة قبل أن تهمله وتبدأ بمساعدة جايمي على تقطيع اللحمة.

سألته دون: «قلت إنك ستخبرنا عن علاقتك بإيفون فهل ستأتي وحدها إلى هنا؟ أو أنك ستذهب وتجلبها؟ ما الذي يجري؟».

أسند مرفقيه إلى الطاولة أمامه مستهلاً الحديث بقوله: «أخشى أن لدي أخبار أطلعكم عليها. أنا وإيفون انفصلنا، ولن تلحق بي إلى هنا. لا

أعلم أين هي الآن، ولأكون صادقاً لست أهتم للأمر مطلقاً».

نظر في صحنه فيما خيّم الصمت على المائدة تاركاً المجال ليستوعب الجالسون كلماته. اشتدت قبضته، فالخبر لم يكن جديداً بالنسبة إليه لكن الحديث عنه ليس سهلاً.

سألته أمه تكسر الصمت: «وهل ستطلقان؟».

- أجل، لقد بدأت معاملات الطلاق.

- لكن الأمر حصل فجأة فقد ذكرت في البريد الإلكتروني الأخير أنكما بخير.

قطّب قليلاً: «حسناً كنا كذلك. ببساطة لم نكن سوياً. آسف لأني لم أخبركم لكن الأمر حدث منذ مدّة».

- هل جربتما مراكز علاج الخلافات الزوجية؟

أجاب رافضاً: «كلا. فلا فائدة من الأمر، صدقيني».

- لكن لوك. ماذا حدث؟ فقد كنتما متحابين. أتذكر أني لم أرك يوماً سعيداً كاليوم الذي أحضرت فيه إيفون إلينا.

- أفضّل ألا أخوض في التفاصيل أمي. لم نكن مناسبين لبعضنا البعض. هذا كل ما في الأمر. اقبلي أن زواجنا انتهى، اتفقنا؟

تردّدت دون قبل أن تجيب: «طبعاً، لكني متأسفة لما حدث. ومع ذلك أقول حمداً لله أنكما لم ترزقا بالأولاد».

صرف لوك بأسنانه وانقبضت عضلات وجهه وهو يقول: «لا تعتبري الأمر جيداً كثيراً».

لم يكن ينوي الاستفاضة بالحديث إلى هذا الحدّ. لم يشأ الإفصاح عن مشاعره للآخرين لاسيما أهله لأنه يحبهم كثيراً.

عادت أمه لتكسر الصمت الثقيل وتسأل: «بالمناسبة، أين حقائبك؟ هل تركتها في المطار؟

- لا بل في الفندق. لقد حجزت غرفة وأنا في الطريق إلى هنا.

- فندق؟ ولماذا تريد النزول في فندق في حين أن غرفتك هنا بحالة

www.elromancia.com

رائعة؟

- لم أرغب في التسبب بمشاكل لكم سيما أني فاجأتكم بحضوري.

- كلام تافه. لماذا يوجد هذا المنزل إن لم يكن ليضم أفراد العائلة؟ الغ حجزك غداً وانتقل للعيش هنا. تحتاج لأن تكون في مكان حيث نعتني بك.

ابتسم لها لوك لكنه هزّ رأسه رافضاً الفكرة. لم يشأ البقاء حيث يهتم به أحد، إذ تدبّر أموره لسنوات واعتاد ذلك. وإن كان قد تعلّم شيئاً من زواجه فهو أن البقاء وحيداً أفضل.

لاحقاً، وبدل البقاء لتناول القهوة والحلويات والتحدث كما كانت تود، أرجعت ديللا كرسيها إلى الوراء وقالت: «أعتقد أني مضطرة للذهاب الآن، عليّ إنجاز بعض الأعمال الليلة».

فسألتها دون: «أعمال؟ أنت تعملين كثيراً. هل أنت متأكدة من أنك ستغادرين؟».

- أخشى أن عليّ فعل ذلك. إننا نواجه أزمة في الوقت الحاضر.

ردّ فرانك: «لا تقولي إنها تتعلق بحريق مصنع الكيماويات العائد لدرمونت؟ لقد سمعت الخبر عبر الراديو».

أومأت برأسها تقول: «بل هي كذلك. فطوم درمونت هو أحد عملائي. يا لي من محظوظة!».

قالت دون: «آمل أنهم يقدّرون تعبك لكنني أشك في ذلك».

قفز لوك من مكانه وسارع يقول: «هل تقلّينني؟ إلى المدينة فقط».

اللعنة! لم يكن العمل سوى عذر قدمته لترحل. في الواقع كانت تحتاج للهروب من لوك، فالجهد الذي بذلته في ادعاء عدم الاهتمام به أضاق صدرها. وقد زاد خبر طلاقه الأمر سوءاً، إذ لم تعد متأكدة مما إذا كان شعورها بالشفقة على لوك المتألم أقوى من إحساسها بالارتياح لأنه عاد حرّاً. وخجلت من احتمال شعورها بالارتياح.

نظرت ديللا إلى دون وهي تسأل لوك عما إذا كان واثقاً من رغبته في

الرحيل بهذه السرعة، وتمنت أن تلحّ عليه ليبقى.

لكنها تابعت: «أعتقد أنك متعب من سفرك الطويل».

وعانقته مودّعة.

لم تكن تحتمل الفكرة. وانسلت من بين الحضور في غمرة القبل والعناق فيما رأسها يدور مراجعاً الكلام الذي سمعته. ليس طلاقه وحسب بل بقائه في أديلايد والعمل فيها.

لم يكن ذلك ليشكل فرقاً بالنسبة إليها فهي مصمّمة على إخفاء مشاعرها كما فعلت دوماً. لن تخاطر بتدمير صداقة تعني لها الكثير في حين أنه يتألم ويحتاج لوجود الأصدقاء بجانبه. حالما تستوعب كل ما حصل اليوم وتنام جيداً، ستكون جاهزة وقادرة على أن تكون صديقته. لعل جزءً كبير من قرار عودته يرجع إلى حاجته للدعم العاطفي مع أنه لم يعترف بالأمر.

قال لوك وهو يفتح الباب ويدخل السيارة: «ظننت أنك سترحلين من دوني. سيارة جميلة، جميلة جداً. لديك ذوق رفيع يا صغيرة».

أدارت محرك السيارة الفضية المكشوفة قائلة: «ماذا ظننت أني سأشتري؟ سيارة فولفو جميلة وقوية؟»

ضحك مجيباً: «لا يمكنني القول إني لم أفكر في الأمر. لكني أعتقدت أيضاً أنك ستختارين سيارة ميني».

- ماذا؟ ميني؟

- سيارة صغيرة مثلك.

- اصمت!.

علق بعد بضع دقائق قائلاً: «تقودين بشكل جيد».

- شكراً لك.

كانت تستمتع بالقيادة، وهي كانت ماهرة جداً في ذلك. ولعله أحد الأسباب التي جذبتها إلى السيارة المكشوفة الفخمة.

- ماذا حلّ بمثالياتك يا ديللا؟

www.elromancia.com

- مثاليات؟

- تلك التي كنا نتحدث عنها أيام الجامعة. كنت مصمّمة على إصلاح العالم تماماً مثلي أنا.

- كنت شابة حمقاء واعتقدت أني أعرف كل شيء.

- والآن أنت كبيرة وحمقاء وتعلمين أنك لا تعرفين شيئاً.

رمقته بنظرة جانبية قائلة: «شيء من هذا القبيل».

لم تكن تتمتع بإرادة لوك. كانت تقدّر قوة تمسّكه بقناعاته لكنها تهتم بتأسيس شركة مالية أكثر من اكتراثها بتغيير عالم لا يريد أن يتغيّر.

- أين تريدينني أن أنزلك؟

حدّق من خلال زجاج السيارة لبرهة وأجاب: «المنطقة الشمالية».

بعدئذٍ استدار ونظر إليها مباشرة ليقول: «من الجيد أن نعوّض ما فاتنا، فقد مضى وقت طويل منذ خرجنا سوياً».

شعرت باشتياق دفين في لهجته وقالت: «زمن طويل؟ بل قل دهراً».

- لست مخطئة. ماذا عن يوم غد؟ يمكنك أن تتخلّي عن العمل ليوم واحد.

- أتمنى لو أستطيع لكني أعالج أزمة. أتذكر؟

- أجل، أزمة درمونت. مثال ساطع على المسؤولية الاجتماعية المشتركة. حسناً ما رأيك في أن نلتقي غداً مساءً.

هزّت رأسها: «آمل أن أتمكن من الخروج».

- تأملين؟

- أجل، إذا تمكّن باتريك من الاعتناء بالولدين.

- بعد ليلة غد إذاً؟

- لن أرتبط بشيء في حال اضطرت لين إلى تغيير موعدها.

ركّزت على ركن السيارة عند المنعطف، فخرج منها مسرعاً.

شكرها عند نزوله وتمنى لها ليلة سعيدة.

وما أن أغلق الباب وراءه حتى انطلقت باتجاه البحر حيث الملاذ.

ونظرت مراراً رغماً عنها في المرآة علّها تلمحه قبل أن يختفي عن نطاق نظرها. لقد استنفدت كل طاقتها الليلة في الادعاء.

وتساءلت للحظة عما إذا كانت ستحظى بفرصة لإظهار مشاعرها الحقيقية فهو الآن مطلّق وقد عاد ليبقى. فما الذي يمنعها؟

الصداقة!

كان يطير من الفرح عندما جلب إيفون لتتعرف بعائلته، ولن تستغرب إذا علمت أنه ما زال يحبها. وإن كان الأمر كذلك فآخر ما يحتاج إليه هو اعتراف ديللا بمشاعرها اتجاهه لتضيف إلى حيرته.

هذه هي حقيقة الأمر اليوم، لكن ماذا عن الغد؟ وخنقت الفكرة في مهدها.

لكن هل يمكنها استرجاع أواصر الصداقة من حيث انتهيا؟ أم أن مسافات لم تكن موجودة قبل رحيله ستبعدهما؟

أثناء زياراته القصيرة السابقة كان شارد الذهن. كان حضوره عابراً ليس أكثر. كان دائم التفكير في قصته السابقة والآتية غير مستقر في مكان واحد بما يكفي للتحدّث أو التواصل مع أحد. بعد ذاك، وفي المرة الوحيدة التي جلب فيها زوجته إلى الديار لم يكن يملك وقتاً إلا لها.

ثمة الكثير من الأمور التي عليهما التحدث بها، فقد شهدت حياة كل منهما العديد من الأحداث. لكنها لا تود مناقشة أي من الأحداث التي عاشتها، لاسيّما مع مرضها وعواقبه. فهذا وحده كاف لردعها عن مناقشة حياتها.

استيقظت ديللا صباح اليوم التالي وهي تشعر بالصداع. لقد غزت أحلامها ابتسامته فنغصت عليها النوم القليل الذي حصلت عليه. ولكنها شعرت أنها شبه انسان من جديد بعد أن استحمت وارتدت ملابسها، فعلى الرغم من صداعها إلاّ أنها أحست أنها أفضل حالاً من الليلة الماضية. سكبت لنفسها كوب عصير برتقال وتوجهت إلى الشرفة لتستمتع بمنظر خليج سان فنسنت، حيث تلتقي خضرة البحر مع عمق زرقة

www.elromancia.com

السماء الصافية.

استراحت على الأرجوحة وشربت العصير البارد وهي تستعيد أحداث الليلة السابقة.

إن كان لوك سيبقى هنا ليعمل ويعيش فلن تتمكن من تجنبه، وهي لا تريد ذلك أصلاً. وإذا قدّر لها أن تختار بين عدم رؤيته أبداً أو حبه وإخفاء ذلك عنه، فستختار حتماً أن تكون بقربه.

لقد تعلّمت منذ طفولتها أنها عليها إخفاء الحقيقة إن كان إظهارها سيؤدي إلى نتائج سلبية. ولم يجعلها هذا الحقيقة كاذبة بل ماهرة في دفن مشاعرها.

لقد أثبتت الليلة الماضية أنها منجذبة بقوة إلى لوك كما كانت دوماً، لكن الأهم هو أنها الصديقة الأقدم. فعلى حدّ علمها لم يحافظ على صداقاته المدرسية أو تلك التي أقامها أيام لعب كرة القدم. وإن كان يحتاج للتحدث عن انفصاله عن زوجته فهي الأولى بالاستماع إليه وستفعل.

إن كان لا يزال يحب زوجته وهذا ما تعتقده فسيتألم بمرارة. كانت متأكدة من أنها لاحظت الألم في عينيه عند إخبار عائلته بأمر الانفصال. كان من النوع الذي لا يعبّر كثيراً عن مشاعره لذا تأثرت جداً عندما أدركت أنه غير قادر على إخفاء ألمه.

إن كان التكلّم عن إيفون سيساعده في التخفيف من ألمه فستصغي إليه، ولن تختلق في المرة المقبلة التي يسألها فيها الخروج أعذاراً. بل ستحبس مشاعرها في صندوق وتفعل ما يجب عليها فعله.

صوت نعيق طيور البحر الأجش جعلها ترفع رأسها. وراقبت الطيور تحوم قبل أن تنهض لتدخل المنزل ثانية. على قدر رغبتها في البقاء كان عليها الذهاب، فلا وقت لديها تضيّعه إذ عليها التحضير لمؤتمر صحفي.

وفيما هي تتوجّه إلى المكتب توقفت ديللا عند مكتب الاستقبال لتلقي

التحية على بوني وتسأل عن أي بريد وصلها. كانت بوني تجلس على كرسي من خشب الأكاليبتوس الأسترالي محاطة بالزهور وقالت: «مرحباً ديللا، مارفين يبحث عنك».

- حقاً، أهو في المكتب؟

- أجل وجايسون أيضاً.

- حقاً؟

وأسرعت تضع كومة الملفات على طاولتها وألقت بحقيبة الأوراق وحقيبة يدها وتوجهت عبر الممر نحو مكتب مديرها مارفن. ومن دون انتظار أن تشير إليها سكرتيرته بالدخول طرقت الباب ودخلت.

عاجلها مارفن وهو ينظر إلى ساعته: «ها أنتِ، ديللا، إننا نواجه مشكلة مع عقد ذاك المؤتمر الصحفي اليوم».

قالت وهي تجلس بجانب جايسون الذي ابتسم لها: «أي مشكلة؟».

قال مارفن وهو يرفع حاجبه: «اتصل بي طوم درمونت صباحاً، إذ يبدو أنك تقفلين هاتفك».

- كنت أعاني من صداع....

لوّح بيده وقال: «لا أهمية لذلك الآن. المشكلة أنه يريد تأجيل المؤتمر الصحفي إلى وقت لاحق».

أغمضت ديللا عينيها: «يا إلهي».

مرّر إصبعه حول طوق قميصه يسألها: «ما الذي تنوين فعله بالضبط؟».

كتمت إحساسها بالرعب وأخذت نفساً عميقاً قبل أن تقول: «سأكلمه يا مارفن».

صرخ وهو ينظر إلى الباب مخافة أن يكون أحد قد سمعه: «تكلّمينه! ستحتاجين إلى معجزة لتثنيه عن رأيه».

وتابع قائلاً: «إفعلي ذلك بسرعة ودعيني أعلم ما يحدث».

قال جايسون: «لا تقلق يا مارفن سأساعدها».

www.elromancia.com

استدارت ديللا ترفع حاجبها غير مصدقة. وكادت توضح لمارفن أنها لا تحتاج مساعدته لولا أنها رأته يتحدث على الهاتف، فتوجهت نحو الباب فيما تبع جايسون مساعدها خطواتها.

في الممر، اعترض جايسون طريقها ليقول: «لا أريدك أن تفهمي الأمور خطأ ديللا. كنت أحاول فقط المساعدة. لم أشأ أن يبدو الأمر وكأنك لا تعرفين كيف تديرين الأمور».

بالطبع لا. لن يفعل ذلك أمامها، لكن من وراء ظهرها. كان يمهد الطريق لنفسه ليحصل على ترقية منذ ستة أشهر. لم يكن لديها أي مشكلة في أن يستلم منصبها طالما ستخليه للوصول إلى مركز أعلى. إن سارت الأمور حسب الخطة المرسومة لها، وحصلت على ترقية كشريكة في المؤسسة فسوف يكون من مصلحتها أن تجد بديلاً لها جاهزاً. لن تتردد في ترشيح جايسون في تلك الحالة، لكنه إن استمر في لاصطياد في الماء العكر كما فعل لتوّه فستقترح أن تبحث الشركة عن شخص آخر يتولى مهمة المستشار الأعلى لها.

تجاهلت نفاقه وركزت على العمل قائلة: «إبدأ بالإعداد للمؤتمر. أرسلت لك التقرير الصحفي عبر البريد الالكتروني في وقت متأخر من ليل أمس، فهل رأيته؟».

- لم أتحقق من وصول الرسائل.

- افعل إذاً واحرص على أن تكون كافة الأوراق التي نحتاجها في الملف. واتصل أيضاً بكاترين وأخبرها أننا بحاجة لخطة تواصل مع الموظفين. وسأتصل بطوم درمونت.

- هل تريدين مني أن. . . .

فأجابته بجفاء: «أستطيع تدبر الأمر معه وحدي».

- طبعاً، كما تريدين.

صرفته بإشارة من يدها وعادت إلى مكتبها. دارت حول الطاولة متنهدة فهي لا تحب أن تلعب دور المدير الصارم، لكنها تعرف هذا النوع

من الموظفين وليست حمقاء لتصدق أن ثمة طريقة أخرى للتعامل معه. كان عليها أن تتصرف بقساوة للوصول إلى هذا المنصب في الشركة وينبغي أن تكون أكثر قسوة إذا ما أرادت أن تصل إلى منصب الشريك. لكن القسوة ليست من طبيعتها، القليل منها فقط ضروري لأمور العمل.

وجدت رسالة تنتظرها على المكتب. التقطت قطعة الورق الصفراء وهي تجلس على كرسيها، وقرأت عليها: ميلاني كرو مسؤولة العلاقات العامة في شركة درمونت الكيماوية. لا يمكن هذا أن يكون خبراً جيداً. يستحسن بها معالجة مسألة ميلاني قبل النظر في مسألة طوم.

أفقد هذا النوع من الأزمات ميلاني السيطرة على الأمور وشعرت ديللا بالأسف حيالها. لقد حاول طوم تخفيض التكلفة بتوظيفه خريجة جديدة بدلاً من شخص خبير متمرّس.

لو كان طوم يملك أي حسّ عملي لوظف أمواله في بناء علاقة أقل عدائية مع المواطنين وعمل على تحضير الخطط الطارئة لمعالجة أيّ حوادث كالتي حصلت بالأمس.

لقد حصلت الشركة على مبلغ محترم من عقدها مع شركة درمونت، وبما أنه لا يستطيع العمل إلا معها فقد عزز ذلك موقعها في التعامل مع الشركاء: «ميلاني، هل اتصلت بي؟».

ردّت ميلاني بأنفاس مقطوعة: «حمداً لله أنك اتصلت يا ديللا، الوضع كارثي».

كانت الساعة الثامنة والنصف صباحاً.

- ظننا أن رجال الإطفاء سيطروا على ألسنة النيران.

- لقد فعلوا. لكن النيران وصلت بعدئذ إلى خزانات المواد الكيماوية وحصل انفجار. اثنان من رجال الإطفاء في المستشفى.

- هل إصابتهما خطرة؟

- وضعهما مستقر. لكن المشكلة أن ثمة تسرّب للمواد الكيماوية وتعمل الشرطة على إخلاء السكان.

كرهت ديللا الوضع ولعنته بصوت خافت. هذا آخر ما يحتاجونه، مادة جديدة لإثارة غضب المواطنين ونقمتهم. لو استطاعوا اقناع السلطات بإعادة تصنيف المعمل الكيماوي ضمن الصناعات الثقيلة لأجبر درمونت على نقل عمليات التصنيع إلى الضواحي البعيدة عن السكن، ومثل هذه الخطوة ستكلف درمونت ثروة.

- شكراً لإعلامي بذلك يا ميلاني. سأتحدث إلى طوم الآن. عليه أن يعقد المؤتمر الصحفي وعلي أن أتحدث إليه لأقنعه بذلك.

أجابتها ميلاني بحسرة: «حظاً موفقاً!».

- فكرت في أن يتولى دان بارلو مهمة عقد المؤتمر الصحفي بدلاً منه، فهو الشخص المناسب للقيام بذلك.

- ممتاز وسيبلي بلاء حسناً. كما أنه يعرف ماذا يقول ولا يتفاخر كما يفعل طوم.

كانوا قد استأجروا قاعة مؤتمرات كبرى في أحد فنادق المدينة وأرسلوا الدعوات إلى وسائل الإعلام. لم يبق لها سوى الرجاء بأن يبقى طوم بعيداً كما وعدها خلال حديثهما على الهاتف. دخل دان بارلو القاعة فأسرعت إليه قائلة: «أشكرك لأنك وافقت على القيام بذلك دان».

- ما من مشكلة. تسرني المساعدة.

تحدثت إلى دان لبضع دقائق وعندما استدارت مسرعة لتجري جولة تفقدية سريعة على الكراسي المتوفرة لجلوس ممثلي وسائل الإعلام، وقع نظرها على لوك. رآها تنظر إليه وهو يأخذ مكانه في الصف الخلفي فابتسم لها ما جعل معدتها الفارغة تنكمش بشدة. شقت طريقها إلى آخر الغرفة وسألته وهي تقف خلف كرسيه: «ماذا تفعل هنا؟».

استدار ليواجهها، وتأملها من أعلى رأسها حتى أخمص قدميها لتعود نظراته مجدداً وتستقر على وجهها. تفحص فاضح. كان عليها أن تردع نفسها من التنفس بصوت مرتفع فهو لم ينظر إليها هكذا قط من قبل. قال لها: «أحب طريقة لباسك التي تأتين بها إلى العمل. ذكية جداً غير

معقدة، فلا يزال هناك أثر لديللا القديمة».

سرّها كلامه فسوّت تنورتها السوداء وقميصها الحريري ورفعت ذقنها قائلة: «يسرني أنك أجريت بعض التحسينات على ملابسك».

في الواقع بدا مذهلاً بعد أن حلق ذقنه وقصّ شعره. أضافت: «لم تقل لي ماذا تفعل هنا».

- أتفقد مشهد الأخبار المحلية وحسب.

- لكنك تعمل كمراسل صحفي، أليس كذلك؟

هز رأسه نفياً.

- إذاً، كيف علمت بأمر المؤتمر الصحفي؟

تردّد قبل أن يجيبها: «ما زال لدي بعض المعارف المحليين ممن يعملون في الوسط الإعلامي».

نظرت في ساعة يدها وقالت: «آه، بالطبع».

واعتذرت منه قائلة: «يجدر بي الذهاب، علينا أن نبدأ».

- طبعاً. أراك الليلة.

- ليس الليلة. علي أن أخرج مع لين. أتذكر؟

أومأ متفهماً.

مشت ديللا بهدوء نحو صدر الغرفة. كان عليها أن تدرك أنه لا يستطيع البقاء بعيداً عن مؤتمر صحفي كهذا، كان الصحفي المفضل في البلدة، وله بالطبع معارف سارعوا إلى الاتصال به ليطلعوه على الخبر الأهم اليوم.

كانت تنظر نحو لوك من وقت لآخر فتلتقي نظراتهما في كل مرّة. عندئذ، يرفع حاجبه ويغمزها ويمنحها نصف ابتسامة. قاومت النظر ناحيته مرّة أخرى وإلا ستنفجر ضحكاً وتخرب المؤتمر الصحفي وسمعتها كامرأة محترفة رصينة.

فقدته بين حشود الخارجين من الغرفة فعادت إلى مكتبها حيث قلبت الرسائل الموجودة على المكتب.

أصدر هاتفها المحمول صوتاً وقرأت الرسالة على الشاشة: لا بأس بشأن موعدنا الليلة. كوني هنا عند السادسة. لين.

إنها تستمتع بتمضية الوقت مع لين لكن الليلة ستكون صعبة عليها.

٣ - ما من أمل

قادت ديللا سيارتها نحو منزل لين بعد أن بذلت جهداً خارقاً لإنهاء كومة الأعمال المتراكمة كي ترحل من دون أن تشعر بوخز الضمير. عندما وصلت إلى الموقف لاحظت وجود سيارة غريبة من نوع ساب. هل لدى العائلة زوّار؟ هل ستضطر لين للبقاء في المنزل؟ كادت ديللا تتمنى أن يكون الأمر كذلك، لكن هذه طريقة الجبناء في الهروب من المواجهة وهي ليست بجبانة.

رنت جرس المنزل. ففتحت لها لين الباب وهي تحمل كايسي بين ذراعيها، وقالت قبل أن تتمكن ديللا من النطق بأي كلمة: «كدت أجهز. خذي كايسي بينما أنهي زينة وجهي».

حملت كايسي ودخلت إلى البهو لكنها توقفت فجأة عندما رأت لوك جالساً على الأرض يلعب مع جايمي.

نظر إليها مبتسماً باحتيال: «مرحباً، هل تودين اللعب معنا؟».

حاولت إخماد فرحة رؤيته مجدداً وهزت رأسها تقول: «أنتظر لين وحسب. توقعت أن أرى باتريك هنا».

- اضطر للعمل فتبرعت للاهتمام بالولدين.

- أنت؟ تقوم برعاية الولدين؟

- لا تستغربي كثيراً، فهذا سيمنحني الفرصة للتعرف إلى ابن أختي المحتال بشكل أفضل، وابنة أختي الجميلة.

وفرك أنف كايسي وضحك لتغلغلها أكثر فأكثر بين ذراعي ديللا. وأضاف: «كما لن أطيق أن تؤجلي موعدنا بحجة انشغال باتريك».

www.elromancia.com

أومأت وهي تقول: «أنت محق».

ضربه جايمي فتعامل معه بصبر. يجب ألا تستغرب ذلك، فلطالما كان لطيفاً مع ميغان وبوبي في صغرهما. لكن المشهد أثّر فيها كثيراً مسبباً لها ألماً عميقاً.

نظر إلى الأعلى قائلاً: «إذاً سنتناول العشاء غداً؟ هل أقلك؟ فقد اشتريت سيارة الآن».

- أهي السيارة المركونة في الخارج؟

- أجل، هل أحببتها؟ قرّرت أن أدلل نفسي فلم يكن لدي سيارة جميلة. اسمعي، يمكننا تناول العشاء في منزلك. لا تقلقي بشأن الطهو فسوف أجلب العشاء والمرطبات.

كانت لا تزال مصدومة من خبر شرائه سيارة. إنه إذاً ينوي الاستقرار فعلاً؟ الخبر التالي الذي قد تسمعه هو قيامه بشراء منزل. وأخيراً صحت من شرودها لتقول: «عفواً، ماذا قلت؟».

- كنت أقول إنني سأجلب العشاء لنتناوله في منزلك. هل ما زلت مغرمة بالبرغر كما أتذكر؟

أومأت برأسها.

نادتها لين من جانب الباب تقول: «هل أنت جاهزة للذهاب؟».

قال لها: «سأكون هناك عند السابعة».

تساءلت لين قائلة: «ما هذا؟ هل ستخرجان من دوني؟».

أجابها لوك: «أنت خرجت من عصابتنا بزواجك من باتريك، والآن عليك أن تتحمّلي العواقب».

أجابته بجرد: «حسناً اهتم بالولدين وحسب أيها الخال لوك. هيا ديللا دعينا نذهب ونتركه للقيام بالمهمة. لقد حضّرت الشاي لذا سيستمتع بوقته».

ضحكت ديللا لنظرة الرعب في عيني لوك عند استلامه كايسي منها.

كان مطعمهما المفضل أكثر ازدحاماً من العادة، لكنهما وجدا طاولة

عند الزاوية بالقرب من المطبخ. كانت ديللا تحب أجواء المطعم المريحة وهو المكان الأفضل للتحدث.

طلبتا الطعام والشراب قبل جلوسهما إلى الطاولة.

- حسناً، كنت صديقة صبورة لكني أتلهف لأعرف ماذا قال الطبيب.

تسلّحت ديللا بالقوة. كانت تعلم أن عليها التحدث بالأمر. ربما عليها إنهاء الموضوع علّها تشعر بالارتياح لبقية السهرة.

وقالت: «الأمر مؤكد. لا يمكنني الإنجاب».

اشتدت عضلات وجه لين وهي تواسيها: «ديللا، أنا آسفة جداً لذلك. هل أنت واثقة من الأمر؟ أما من شيء يمكن فعله؟».

هزّت ديللا رأسها وهي بالكاد تستطيع ابتلاع ريقها.

- هل الحالة مستعصية؟.

- أجل. قالت الطبيبة إن حويصلات المبيض لن تستجيب.

شربت لين القليل من العصير قبل أن تقول: «اللعنة، هذا غير عادل».

هزّت ديللا كتفيها تحاول أن تبدو طبيعيّة: «لطالما علمت أن العلاج الكيمائي سيتسبب بهذا».

شربت لين من كوبها مجدداً وقالت: «أعلم، لكن كان لدينا أمل دائماً. يا إلهي، أتصوّر كيف تشعرين الآن».

ورمقت صديقتها بنظرة طويلة متفحصة وسألتها: «كيف تشعرين؟».

انتظرت ديللا برهة لتختار كلماتها بعناية: «أني انتهيت».

ضغطت لين على يدها: «لا تقولي ذلك».

سارعت ديللا تكمل: «لا أعلم لماذا أشعر هكذا، أعني أنا لا أنوي الزواج في المستقبل المنظور، هذا إن تزوجت أصلاً.

- لا تقولي هذا.

صمتت قليلاً لتأخذ نفساً عميقاً ثم أردفت: «لمَ لا؟ إنه الواقع».

www.elromancia.com

كانت تعلم أنها إذا تكلمت بسرعة فسوف تبكي. والتمهّل يجعلها تبدو أكثر هدوءاً.

- في الواقع، لم أكن أنوي ذلك قبل أن أرى دكتور مورغن ولم أشعر أني أقل قيمة وقتئذ.

- ولا يجدر بك أن تشعري هكذا الآن، فما من سبب يمنعك من إيجاد زوج لك. زوج لا يريد أولاداً. أعني الرجل المناسب لأن يكون زوجك، وليس أولئك الفاشلين الذين كنت تواعدينهم طيلة تلك السنوات.

- فاشلون، لم يكونوا جميعهم فاشلين.

وحدّقت لين في صديقتها قبل أن تقول: «من الغريب أنك لم تجدي حبيباً. أعني لقد ظننت نفسي واقعة في الحب عشرات المرّات قبل أن ألتقي باتريك. لكنك لم تقاربي إمكانية أن تكوني مغرمة بأحدهم. وإذا فعلت فأنت لم تذكري الأمر أبداً».

أبعدت ديللا ناظريها. لقد وقعت في الحب لسنوات وحتى أذنيها. لم تشأ تدمير صداقتها بلين باعترافها لها بأنها كانت مغرمة بأخيها طوال تلك السنين.

من الواضح أنه لا يهتم إلا بعلاقة صداقة معها، ولم تكن ترغب في أن يرفضها كحبيبة. يا إلهي إنها تتخيل البلبلة التي يمكن أن يحدثها الاعتراف بمشاعرها والإحراج الذي ستشعر به عند زيارتها لين، وصداقة لين مهمة جداً بالنسبة لها. كان كلاهما مهماً جداً بالنسبة لها. كيف كانت حياتها لتصبح من دونهما؟ لم ترغب في خسارتهما. لذا فكرت بإخفاء مشاعرها. ظنت لفترة قصيرة أنه ينظر إليها بشكل مختلف، وكأن مشاعره حيالها أعمق من مجرّد الصداقة. لكنها أقنعت نفسها بأن مخيلتها تصوّر لها الأمور على تلك الهيئة. وحتى لو لم يكن الأمر كذلك فلديه مشاريعه.

لم تكن لتضع العراقيل في طريق تحقيق أهدافه. لذا، فاحتفاظها

بمشاعرها لنفسها هو الأمر الصواب. فلو بقي هنا لما حقق طموحاته وشعر بالرضا عن نفسه. كان يحتاج لأن يسعى وراء حلمه. تمضية حياة من دون ارتباطات لأنه صحفي يعمل وحيداً هو ما كان يحتاجه ولأنها أحبته أرادت له أن يحقق طموحه.

لم يبدِ يوماً انجذاباً حقيقياً نحوها. وأكّد هذا زواجه من إيفون. ما لم تفهمه هو لماذا بقي مثل هذا الشعور القوي حياً فيها ولم يخف يوماً. وعلى الرغم من زواجه وابتعاده بقيت مغرمة به.

سألتها لين برقة: «أتعتقدين أن أهلك هم السبب؟».

ضاقت عينا ديللا وهي تنظر إلى صديقتها غير واثقة مما ترمي إليه وقالت: «أهلي؟».

تنحنحت لين قبل أن تقول: «أعني هل تظنين أن عدم اهتمامهما بك في مرحلة طفولتك، جعلك عاجزة عن الوقوع في حب أحد اليوم؟ إلى أي حد شخصيتك اليوم ناتجة عن تربيتك وكم من الصفات تحملين بالفطرة؟».

أحنت ديللا رأسها وقالت: «أفهم ما تقصدين لكني لا أظن . . . أعني أنا واثقة من أني أستطيع الوقوع في الحب إذا صادفت الرجل المناسب».

ابتسمت لين وقالت بنبرة مشجعة: «حسناً، قد يكون قريباً».

نظرت ديللا أمامها فثمة مسافة كبيرة بين المطعم ومنزل لين. وهزت رأسها.

تنهدت لين وسألتها: «إذاً كيف ترين نفسك بعد عشر سنوات إن لم تكوني متزوجة؟»

رفعت نظرها إلى صديقتها، فهذا سؤال تسهل الإجابة عليه، فقد فكرت ملياً في الأمر. قالت: «في حال حصلت على الترقية في الشركة، سأكون الشريك الأصغر سناً. كما سأكون أول امرأة تحتل هذا المنصب. أريد أن أنجح في تولي المهمة وسيتطلب ذلك عشر سنوات على الأقل».

- أنت محقة. ففتح الطريق أمام النساء الأخريات وإثبات نفسك ليس بالأمر السهل. لكن الحياة ليست عملاً وحسب.

وصل النادل حاملاً طبقين وقال: «تفضلا، تسرّنا رؤيتكما مجدداً».

ابتسما له، فلطالما عاملهما بلطف: «استمتعا!».

راقبته لين يرحل قائلة: «إنه شاب ظريف جداً. من المؤسف أنه يصغرك سناً».

- صحيح. أنا أبلغ ضعف عمره.

وضعت لين قوطة الطعام على حضنها وهي تضحك وتقول: «ليس صغيراً إلى هذا الحد. لا أريد أن أبدو كعجوز بائسة لكني قلقة بشأنك».

- لا داعي للقلق، فأنا أستمتع بعملي.

- لا أعلم لما يبدو لي أنه يعرضك لضغط شديد.

- إنه تحدٍ.

- هذا صحيح. لكني أتساءل أحياناً....

- عما تتساءلين؟

- كيف تستطيعين العمل مع شخص مثل طوم درمونت.

- حسناً! عملائي ليسوا كلهم مثل طوم.

- طبعاً لا، لكن ثمة الكثير من أمثاله. كيف تبررين عملك لحسابهم؟ كيف تبررين الأمر لنفسك؟ هل تشعرين بأن ضميرك مرتاح؟

قطبت ديللا جبينها: «لا أشعر أن عليّ تبرير الأمر أو توضيحه، فلست مسؤولة عما يفعله الرجل. إنه عملي، وعليّ أن أركز فقط على القيام به بأفضل ما يمكن.

توقفت لين عن تناول الطعام ولوّحت بالشوكة في الهواء قائلة: «ألا تظنين أنك ستكونين أكثر سعادة لو أنك تعملين في وظيفة مختلفة؟».

هزّت ديللا رأسها رافضة الفكرة.

هزت لين كتفيها بعد أن ابتلعت الطعام وتابعت: «على أيّ حال، لم أقصد التدخل إلى هذا الحد في خياراتك. ما قصدته هو أني لا أريد أن

يشغلك العمل وينتهي بك الأمر وحيدة».

- لا يمكن أن أكون وحيدة. فلدي أنت وباتريك وجايمي وكايسي وفرانك ودون وميغان وبوبي.

- ولوك.

- أجل... ولوك.

حوّلت ديللا نظرها وركّزته على المرأة الشابة التي كانت تنتقل بين الطاولات بردفيها العريضين. وقالت لصديقتها: «أعتقد أننا نولد بتركيبة خاصة. إدراكي أني عاجزة عن إتمام المهمة التي خلقت من أجلها يقلل إحساسي بأنوثتي».

لمعت عينا لين فأغمضتهما وفتحتهما بسرعة وهي تقول: «لن أسمح لك بقول هكذا كلام تافه. ثمة العديد من النساء اللواتي لم يرزقن بأولاد، سواء بسبب مشكلة صحية أو نمط حياة معين، ولا يرى أحد أنهن أقل أنوثة. وما من أحد سيظن ذلك بك يا ديللا».

أومأت برأسها وردت: «جزء مني يعرف أنك محقة، لكن هذا لا يغيّر ما أشعر به. أحتاج فقط لبعض الوقت لأتقبّل الأمر، كما تعلمين. أود أن أستوعب الأمر. فقد كنت أرغب وأحب...».

غاب صوتها وتوقفت عن الكلام محاولة أن تتماسك ثم تابعت: «أن أرزق بأطفال يوماً ما».

ردّت لين بشفتين مرتجفتين: «وسترزقين بهم طبعاً، كما ستكونين أماً رائعة».

لوحت ديللا بفوطة الطعام وقالت: «لا تخبري أحداً بذلك يا لين. لا تقولي شيئاً لدون. سأخبرها بنفسي يوماً ما عندما أصبح جاهزة لكن ليس الآن».

مسحت لين عينيها بظهر يدها وقالت: «سوف تشعر أمي بالأسف حيالك».

- أعلم ذلك، وهنا تكمن المشكلة. لا أستطيع أن أتقبل شفقة أحد

www.elromancia.com

الآن سيما أمك.

وستبقى كذلك إلى أن تتمكن من التحدث في الموضوع من دون أن تحسّ بأن معدتها تنقبض.

قالت لين وهي ترفع رأسها إلى الوراء وتخرج فوطة من حقيبة يدها: «كما تشاءين».

- دعينا نتحدث في موضوع آخر الآن. هل ظهر سنّ كايسي الأول؟

جففت لين أنفها واستجابت لرغبة ديلا فأطلعتها على أخبار طفلتها.

ضحكت ديللا عند انتهاء لين من إخبار إحدى قصص ابنتها وقالت: «عليك أن تدوّني كل تلك القصص، وستؤلفين كتاباً بلمح البصر. أراهن على أن معظم الأهل يعيشون التجارب ذاتها».

- لست كاتبة. أنت ولوك سيّدا الكلام، أقصد اللعب على الكلام. بالحديث عن لوك، ما رأيك في عودته؟

حكّت خدها مفكّرة وردت: «حسناً، أجد أنه يصعب تصديق الأمر. لا أتصوره يجد الحياة مثيرة بما يكفي هنا. أتجدينها كذلك؟ لا أكف عن التساؤل ما إذا أتى ليكون بالقرب من عائلته وأصدقائه ليتخطى أزمة طلاقه».

عبست لين وقالت: «قد تكونين محقة. لكنه لا يتحدث في الأمر».

- لعله لا يريد التحدث إليك لأنك تعيشين زواجاً سعيداً وهو لا يرغب في إفساد فرحتك.

أدارت لين الكأس بيدها وقالت: «لم يخطر لي ذلك. قد تكونين محقة. لماذا لا تحاولين أنت حثه على الكلام؟».

أومأت ديللا برأسها تقول: «آمل أن يكون قد دعاني للخروج غداً بهدف التحدث في الأمر».

- طبعاً. افعلي ما بوسعك. قد نكون مخطئتين، لعله عاد لأنه سئم المخاطر والحرمان اللذين عاشهما لزمن طويل. لعله يريد الاستقرار والعيش كشخص طبيعي.

- يمكن للأمر أن يكون بهذه البساطة.

أجابت لين: «لكننا نتحدث عن لوك بالنهاية، وهو ليس من النوع الذي يرغب بالاستقرار».

فتحت ديللا باب منزلها وهي تلعن اجتماع كبار المستشارين الذي استغرق طويلاً فحرمها من الاستمتاع بحمام مريح قبل وصول لوك. بدأت تخلع ملابسها أثناء صعودها الدرج وانتهت من ذلك مع وصولها إلى غرفة النوم فدخلت الحمام واستحمت بوقت قياسي. كانت قد فرغت من ارتداء جينز وقميص قصير الكمين عندما سمعت جرس الباب يقرع.

رفعت شعرها وهي تنزل الدرج لتفتح الباب، وانقطعت أنفاسها عند رؤيتها لوك الذي بدا شاباً مجدداً بسروال الجينز والقميص الأسود الذي يبرز عضلاته. إنه يجسد الرجل الذي في خيالها. الرجل التي يزور أحلامها ليلة بعد ليلة وسنة بعد سنة.

توترت أعصابها التي أثارها وجودها بالقرب منه مجدداً ما ذكرها بسبب وقوعها في حبه في المقام الأول.

قالت: «أهلاً».

مدت يديها تساعده على حمل الكيس الورقي وزجاجة العصير، ثم دعته للدخول.

قال يتأمل المنزل: «منزل جميل».

تبعته إلى المطبخ وهي تشكره.

بدأ يفتح الكيس وهو يقول: «حقاً أحببت هذا المنزل. متى تم بناؤه؟ هل لديك فكرة عن تاريخه؟».

فتحت ديللا الدرج وجلبت الملاعق وهي تجيب: «حسناً، قد تأسف لأنك سألت. لقد بني في القرن الثامن عشر وهو يمتد إلى الشاطىء. كان المنزل وأثاثه يؤجر لقاء خمس باوندات في الأسبوع».

- حقاً؟ أين أجد الأكواب؟

مدّت يدها إلى الخزانة وأخرجت كوبين: «ثمة ثمانية بيوت منها في

المنطقة. ثلاثة منها فقط مبنية على الطراز الفكتوري ومؤلفة من ثلاث طبقات مطلة على البحر».

رفع حاجبيه: «لم يكن لدي أدنى فكرة عن الموضوع».

ردّت عليه: «يمكنك أن تسخر من الموضوع لكني أظن أنه مثير للاهتمام».

- أنا لا أسخر. أحب هذا النوع من التاريخ وحياة الأشخاص الحقيقيين. هل تعلمين المزيد عنه؟

أجابت: «حسناً، كانت متصلة بالبحر عبر سلالم خشبية للسماح للسيدات بالنزول من المنزل إلى الشاطىء من دون أن تتسخ فساتينهن».

- أعجبني ذلك.

ابتسمت له ديللا وجلست على الكرسي لتشعر للمرّة الأولى بالاسترخاء هذا المساء.

سحب كرسياً آخر وجلس بقربها. أخبره حدسه أنها ستشعر بالاسترخاء إذا سألها عن المنزل فقد بدت أعصابها مشدودة ولم يعجبه ذلك. لم يكن التوتر بينهما من قبل، على الأقل هذا ما يتذكره. لم يكن يتذكر سوى استمتاعه برفقتها وتمضية أوقات مرحة مع صديقته بل صديقته المفضلة.

لعل السبب يعود إلى طول فترة ابتعاده عنها. قدم لها البرغر وهو يتأملها. بدت الليلة أكثر شباباً وأقل تعقيداً لكن ليس أقل جمالاً. فقد برزت سمرة وجهها البيضاوي من دون الماكياج كما برزت عيناها السوداوان برموشهما الطويلة الفاتنة. بدت ضعيفة جداً وناعمة وكأنها مراهقة، بثيابها الرياضية وشعرها الرطب ووجهها الخالي من أي زينة.

حوّل نظره عنها مركزاً على الطعام. عليه أن يكافح حتى يتوقف عن التحديق فيها كمراهق. لطالما عرف أنه لا يستطيع أن يقوم بأي خطوة خاطئة معها وإلا دمّر صداقتهما. هي ليست من الفتيات اللواتي يمكن التلاعب بهن، كما لم يرغب في خسارة صحبتها. لذلك، حوّل نظراته

وتفكيره عنها وحافظ على علاقة عذرية بها. ستقتله لين إذا ما تخطى حدوده معها، فهي تخاف كثيراً على ديللا. لم يتحرّش بها من قبل ولن يفعل شيئاً أحمق اليوم. علّمته إيفون ألا يفكر في إقامة علاقة مع امرأة مبنية على الانجذاب الجسدي أو على الصداقة حتى، أو على الاثنين معاً. مضغ الطعام لبرهة مجبراً نفسه على التركيز عليه. لم يكن يرغب في التفكير في إيفون الليلة فهي مخصصة لاستعادة سعادة أيام الشباب التي يفتقدها.

تنحنح قليلاً وقال: «لا بد أن المنازل المطلة على البحر تكلف ثروة. كيف تدبرت أمر هذا المنزل؟ هل عثرت على مبلغ طائل من المال؟».

رفعت ذقنها قليلاً وردّت: «لا لم أعثر على أي مبلغ. كل قرش دفعته حصلت عليه بتعبي، وقد ادخرت الكثير».

لاحظ نبرة صوتها الدفاعية وألقى باللوم على نفسه لعدم مبالاته بأحاسيسها. بداية جيدة! وتذكر كم كان منزله يعجبها. كانت تحب الأشياء الجميلة وقد جعلتها بيئتها الفقيرة طموحة. وتذكر أنها أقسمت يوماً على أن تحصل على كل الأشياء الجميلة التي ترغب فيها. كان يعلم حينها أن لديها ما يكفي من الإرادة للوصول إلى أهدافها، ويبدو أنها فعلت. لم يدخل يوماً إلى منزل عائلتها، لكن منظره من الخارج أعطاه فكرة واضحة عما يمكن أن يكون عليه. دخلت لين إليه مرّة وأخبرته أنها لم تصدّق مدى سوء حاله.

عليه أن يشكر ديللا لأنها فتحت عينيه على حقيقة أنه كان يتمتع بمستوى معيشة ليس متوفراً لكثيرين، ولإعطائه فكرة عن عزة النفس التي قد يتمتع بها شخص في مثل ظروفها. عندما لم يكن لديها المال الكافي للذهاب إلى الأماكن التي يرتادانها عادة، كانت ترفض السماح لهما بالدفع عنها.

وقد شهد على انزعاجها وحرجها عندما كانوا يعطونها ملابس لين الصغيرة لأنها صغيرة الحجم. كانت تفضل إصلاح ملابسها القديمة على أن تقبل ثياب لين. لقد تطلب إعطاؤها أي شيء من دون المسّ بكرامتها

الكثير من المهارة والذكاء من أمه وأخته.

نظر من حوله قائلاً بلطف: «لقد أحسنت عملاً».

لانت ملامحها وقالت: «في الواقع، اشتريته بسعر بخس نسبياً فقيمة الأراضي المحاذية للشاطىء لم تكن مرتفعة عندما اشتريته منذ ثلاث سنوات ونصف. لكن الوضع تغيّر منذ ذلك الحين واكتسبت هذه الأماكن أهمية كبرى».

- إذاً لقد اشتريته أثناء زيارتي الأخيرة. لا أتذكر أنك ذكرت الأمر لي.

- كنت شديد الانشغال أثناء زيارتك تلك، كما أنه كان مجرّد خربة. فهو لم يمسّ منذ خمسين سنة، ولهذا السبب لم يهتم أحد بشرائه.

مسح يديه بالفوطة قائلاً: «هل قمت بأعمال التجديد والترميم كلها بنفسك؟».

فأومأت برأسها موافقة: «أعتقد أني حافظت على روح الماضي. ألا تظن ذلك؟ فلا تزال الأرض مغطاة بخشب الصنوبر كما أبقيت المدافىء الرخامية وحواجز الشرفات الحديدية».

- إنه عمل ضخم.

كان المكان أكثر دفئاً من ذلك الذي شاركته فيه زوجته، فهي لم تكن تهوى ترتيب المنزل. حمل كوبه ومشى نحو الأبواب المواجهة للحدائق الخلفية للمنزل وقال: «آه».

استدارت ديللا في كرسيها وقالت: «لا تنظر إلى الحديقة، فلم أتمكن من تغيير أي شيء فيها بعد».

واجهها مديراً ظهره للمنظر البشع وراءه وسألها: «ألا تملكين الوقت؟

- حسناً بسبب نقص الوقت والمال، عندما...

ثم تابعت: «إذا حصلت على الترقية التي ذكرتها دون الليلة الماضية فسأدخر المزيد من المال. والحديقة هي التالية على لائحة الأولويات».

رأى التصميم في عينيها قبل أن تخفضهما وتجمع الأوراق وتنهض عن

كرسيها.

- سمعت بوفاة والديك. كنت سأرسل الورود أو بطاقة تعزية لكن الشفقة لم تبد لي مناسبة حينها.

هزّت رأسها من دون أن تنظر إليه بل بقيت تحدق في السلّة حيث رمت الأوراق. وأكمل قائلاً: «وهكذا لم أفعل. آمل أن تعلمي أني فكرت بك».

أجابت ديللا بلهجة تخلو من الحياة: «من سخرية القدر، أني وبعد أن تمنيت لسنوات أن يموتا، سامحتهما أخيراً. حاولت أظهر لهما ذلك عبر التصرف بلطف وتقديم إجازة لهما. لا أعرف إذا ما فعلت ذلك لمصلحتي أو لمصلحتهما. حاولت أن أظهر لهما أني أملك المال. لا أعلم، لكن وفي محاولتي لأن أظهر لهما أني لم أعد أرغب في موتهما قتلتهما».

شرع يقول بشكل عنيف: «بربك ديللا، لا تجعلي الأمر مأساوياً. كان حادثاً، أليس كذلك؟».

- طبعاً كان كذلك، لكن هذا لا يلغي الحقيقة. فهما لم يخرجا من المنطقة مطلقاً ولم يذهبا إلى ما هو أبعد من تلال أديلايد. ولأني كنت أملك المال أردتهما أن يمضيا العطلة في ملبورن ولأنهما لا يثقان بالطيران أصرّا على الذهاب بالسيارة.

- وتحطمت بهما السيارة على الطريق السريع.

أومأت برأسها.

- وأنت لا تلومين نفسك على ذلك طبعاً؟

- كانا سيبقيان سعيدين لو تركتهما وشأنهما، وحيّين أيضاً.

تنهد واتجه إلى المطبخ حيث ملأ الكوبين بالعصير وعاد يحملهما إلى غرفة الجلوس: «تعالي واجلس يا صغيرة».

رمقته بنظرة خاطفة وقالت: «سأضع القهوة على النار».

- اتركيها واجلسي هنا واشربي عصيرك.

ترددت ثم توجهت إلى الكرسي البعيدة عنه وجلست: «ما دمت تأمرني

www.elromancia.com

بذلك».

- أجل، صحيح. أريدك أن ترتاحي. كما أريد أن أجلس مرتاحاً على الكنبة هنا. لقد مضى وقت طويل منذ شعرت بالراحة في التحدث إلى أحدهم. شخص يفهمني وأفهمه.

انحنت قليلاً تنظر إليه بحنو وتقول: «يمكنك التحدث إليّ».

- أعلم ذلك، ولذا أنا هنا.

أومأت برأسها.

استند إلى الوراء وجلس بشكل مريح قائلاً: «إنه نوع جيد من العصير».

وسألته: «لوك، هل كان الأمر مؤلماً؟».

أجفل وسألها: «ما هو؟».

- طلاقك؟

شرب المزيد من العصير قائلاً: «لا أريد التحدث في الأمر».

قطبت وقالت: «لكن ألست هنا لهذا السبب؟».

هزّ رأسه وقال: «ماذا؟ كلا، بل على العكس تماماً. إني أحاول أن أنسى».

- ربما سيفيدك التحدث في الموضوع.

أصدر صوتاً ينم عن انزعاج وقال: «تبدين كأمي يا صغيرة. لقد أتيت إلى هنا لتمضية الوقت معك بعيداً عن الضغوطات. لقد اعتدنا تمضية ساعات طويلة نتحدث عن كل شيء ولا شيء. كنا نحاول إصلاح العالم، أتذكرين؟».

- أذكر.

وتذكر تلك الساعات التي أمضاها برفقتها والتي اعتبرها أنها أسعد أيام حياته. أراد أن يجد ذلك السلام مجدداً. أراد أن يعود بالزمن إلى الوراء، لكن الكثير من الأمور حصلت منذ ذلك الحين.

- عمّ تريد التحدث إذاً؟

هزّ كتفيه قائلاً: «لا أعرف، لا شيء محدد. العقارات مثلاً؟».

اتسعت عيناها وهي تسأل: «العقارات؟».

- أين يجدر بي شراء منزل؟ عمّ يجب أن أفتش؟

- لست خبيرة في الموضوع. كل ما أستطيع قوله: لا تشتري منزلاً ينبغي العمل عليه ليصبح بيتاً حقيقياً إلاّ إذا كنت مستعداً لأن تمضي سنوات طوال في إعادة ترميمه وإصلاحه.

- أظنني أستطيع اعتماد هذا الخيار.

- لكن أنت تقوم بالإصلاحات؟ لا أتصورك تفعل ذلك.

- ولمَ لا؟

- حسناً، لطالما أردت إصلاح العالم. لكن إصلاح الأبواب المكسرة أمر مختلف تماماً.

حرّك العصير في الكأس قائلاً: «هذا صحيح. لكني تعبت من إصلاح ما لا يمكن إصلاحه».

راقبته ديللا وهو يتأمل كأسه وشعرت بأنه يرى شيئاً آخر تماماً. شيء ما جعل عينيه كئيبتين. يبدو أن الحياة التي عاشها تركت أثرها الواضح فيه، وفكرت في القصص التي غطاها. كيف يمكن أن يشهد كل تلك المصائب البشرية من دون أن يتأثر؟ سألته بهدوء: «أخبرني بالأمر».

نظر إليها بذهول وكأنه نسي وجودها أصلاً. ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتيه وقال: «لا أعتقد أني سأفعل».

- بل يمكنك أن تفعل إذا أردت. لعل ذلك يجعل التعامل مع الوضع أسهل.

- لم أفعل سوى الكلام على مدى سنوات. تحدثت عن الأمر مع كاميرا الفيديو وكاميرا الانترنت، فتكلمت وتكلمت من دون أن يتغير شيء.

وهزّ رأسه، فرأت الإحباط في ملامحه قبل أن يقول: «ما الذي يسعني فعله سوى الكلام؟».

www.elromancia.com

وصمت لكن حنجرته تحركت وكأنه يكافح ليبتلع ريقه، وكأنه يحاول كبت مشاعره المتدفقة.

- تساءلت لماذا استسلمت لكنني لم أشأ أن أسأل عبر الرسائل الالكترونية. هل ساءت الأمور إلى هذا الحد؟

إنها لم ترَ لوك يوماً على هذا الحال.

لوى شفتيه فجأة وقال: «لا تنظري إليَّ هكذا يا صغيرة».

وصمت لحظة ثم أردف: «لنشرب القهوة».

توجهت ديللا نحو المطبخ حيث ملأت آلة صنع القهوة بالماء وأضافت البن.

حملت كوبين ووضعتهما على الصينية ثم أسندت مرفقيها إلى الطاولة. كان يراقبها وابتسم لها حين تلاقت نظراتهما.

قالت له: «لا أحب أن أراك هكذا».

- إذاً توقفي عن حثي على الاعتراف.

وأكمل قائلاً: «لا أحتاج للتكلم عن الأمر بل للنسيان. ويمكنك مساعدتي على فعل ذلك».

- كيف؟

- بأن تكوني كما اعتدت دوماً.

أمالت رأسها جانباً تسأله: «كي تقوم بإغاظتي كما كنت تفعل دوماً».

ضحك قليلاً وأجاب: «أجل، هذا جزء من اللعبة».

- ماذا أيضاً؟

- كوني أنت فقط. مسترخية، سلسة وهادئة.

انتصبت واقفة وذهبت نحو آلة تحضر القهوة. يمكنها فعل ذلك فقد أمضت حياتها تتصرف بهدوء مع الآخرين. إن كانت قادرة على التصرف على هذا النحو مع طوم درمونت فتستطيع ذلك حتماً مع لوك.

٤. لِمَ هذه الحيرة؟

وبعد التحدث لساعات عن كافة المواضيع من القضايا الراهنة إلى إصلاحات والسفر وأنواع الطعام وغيرها، غادر لوك منزل ديللا وقاد سيارته على الطريق البحرية لمسافة كيلومتر تقريباً. المواضيع الوحيدة التي لم يتطرقا إليها هي تلك التي أدرك أنها تود التحدث فيها.

ترجّل من السيارة واجتاز الطريق ليقف على الشاطئ.

كان الليل هادئاً لولا صوت الموسيقى الصادر عن منزل يبعد قليلاً عن الشاطئ وأصوات الموج المتناغم المتكسر على الشاطئ.

لو رغب في التحدث إلى أحدهم فسيختار ديللا، لكن ليس بعد. لم يكن جاهزاً لكشف مشاعره على هذا النحو. وحتى لها...

تنشق هواء البحر المنعش البارد ودسّ يديه في جيبيه.

أحب عودته للديار وشعوره بالسلام فيها، لكنه لم يكن متأكداً من أنه فعل الصواب بعودته. في الواقع، كان شبه واثق من أن عليه العودة إلى الهند، فهم بحاجة إليه هناك. سيسرّ الأولاد في الميتم لرؤيته.

لا يزال لديه الوقت، فلم يقم بتصفية عمله كلياً هناك.

لعله يستطيع المساعدة في إيجاد شخص آخر. لعله يستطيع العودة.

قدّم طلب الوظيفة الجديدة حين ظنّ أنه مستمر بزواجه، على أن تكون إيفون معه هنا. لكنها لم تكن المرأة التي تخيّلها. لقد خذلته على الصعد كلها ولم يتحقق أي من أحلامه.

كان عليه أن يتراجع حينها ويحافظ على منصبه كمدير إقليمي للمركز الخيري. لكن شيئاً ما كان يدفعه للعودة إلى الديار. شيء ما جذبه ليعود.

www.elromancia.com

فكر في ديللا. من الرائع أن يراها مجدداً. لطالما كانت صديقة جيدة، لا بل الأفضل. لم يكن يدرك إلى الآن مدى حاجته لوجودها المهدئ في حياته. في سنوات شبابه كان دائم التأهب، دائم التطلع إلى المغامرة التالية. ولم يكن يرغب في القيام بأي مغامرة إلا برفقة ديللا، لمجرّد تمضية الوقت برفقتها فهي تهدىء روحه.

وقف لبرهة يفكر ويتذكّر. لم تكن الحياة سهلة بالنسبة لها وأمل أن تكون قد عوّضتها «إهمال» عائلتها.

مرّر يديه في شعره فهو لم يكن صديقاً في مدى السنوات القليلة الماضية. فقد أخذته الحياة منها، وانشغل بمشاكله فلم يتسنّ له الوقت الكافي للتفكير في مسار حياتها. لا يعني ذلك أنها كانت بحاجة إليه، فهو ليس من الإعجاب بنفسه بحيث يعتقد أنه شكل خسارة كبيرة لها. لكنها لطالما كانت بقربه كصديقة حين احتاجها في الماضي. وقد عادت تلعب الدور ذاته الليلة من دون شكوى.

كانت تستحق منه أفضل من زلة لسان تؤذيها. لقد لمح شيئاً من الأذى في عينيها وهي تتكلم وهذا آخر ما يريده لها.

سيحاول التعويض عن كونه صديقاً فاشلاً، طيلة فترة بقائه في البلد وأثناء اتخاذ القرار بشأن بقائه أو رحيله.

* * *

قلّبت ديللا في كومة الأوراق التي تتضمن أسئلة وسائل الأعلام والتي تركتها بوني على مكتبها. الآن مع ارتفاع حدّة الأزمة، تلقت بعض الرسائل من صحفيين من مناطق أخرى وكان عليها أن تردّ سريعاً وإلا فاتها الموعد. كانت تجري مكالمة هاتفية حين دخلت بوني المكتب مجدداً وهي تحمل أكبر باقة أزهار رأتها في حياتها. حدّقت فيها فيما كانت بوني تضعها عند الحائط بالقرب من خزائن الملفات.

عندما أنهت المكالمة الهاتفية نظرت بوني إليها وسألتها: «ما الذي يحصل؟ هل لديك حساسية على الأزهار؟».

نظرت إلى الباقة قائلة: «أية أزهار؟ أتعنين الجيربيرا؟»

وصوّبت إصبعها نحو الأزهار مضيفة: «لا بأس. على أي حال، لماذا جلبت الباقة إلى هنا؟»

أجابتها بوني: «لأنها لك».

فركت ديللا جبينها تعترض: «ولماذا أحتاج باقة أزهار مكتب الاستقبال، فلا احد سيراها هنا».

ردّت عليها وهي تسحب بطاقة موجودة بين الأزهار: «أيتها الحمقاء. ليست مرسلة إلى مكتب الاستقبال، بل لك. تفضلي».

حدّقت في المغلف الأبيض الصغير ودست إصبعها في داخله. أهي طريقة طوم درمونت لشكرها على العمل الذي قامت به؟

فتحت المغلف وقرأت الكلمات ثلاث مرات قبل أن تفهم المضمون.

إنه لوك! وهذا اعتذار. وكأنه بحاجة لأن يعتذر عن أمر ما.

لم تكن بحاجة لباقة أزهار لتعرف أنه لم يقصد إيذاءها بتعليقاته. نظرت إلى الباقة مجدداً، هذه ليست باقة بل نصف متجر زهور. لكنها جميلة. وابتسمت لبوني التي لا تزال واقفة في الباب.

قالت: «من صديق».

رفعت بوني حاجبيها وسألت: «حقاً؟ أملت أن تكون من معجب سرّي».

ونظرت إلى الباقة قبل أن تردف: «علي إيجاد صديق كهذا. حسناً، سأعود للعمل».

عندما خرجت بوني، عادت ديللا تقرأ الرسالة. أراد أن يدعوها على العشاء الليلة. استندت إلى الخلف في كرسيها وحدقت في الباقة مجدداً. اختيار متعمّد من جانب لوك. لم يكن ينوي طبعاً أن يلفت انتباهها إلى الناحية الحساسة من شخصيته، لكنه من دون شك يشكل زوجاً رائعاً.

وقطبت جبينها. لم تشك أبداً في أنه كان زوجاً رائعاً لايفون على الرغم من فشل زواجه. لماذا فشل ياترى؟ توقعت منه أنه يتحدّث في

www.elromancia.com

الأمر الليلة الماضية، لكنه لم يفعل. صحيح أنه تكلّم. لا بل تكلّما كثيراً، ولوقت طويل وكان الأمر رائعاً تماماً كما في الأيام الخوالي. لكن حينذاك، لم تكن تلك النظرة الحزينة والكئيبة في عينيه.

عضت على شفتها. ثمة شيء ما يتآكله، فهي تعرفه أكثر مما يعرفه كثيرون، وربما أفضل من أي شخص آخر. كانت واثقة أنها لم تحصل على الحقيقة الكاملة منه.

إذا أراد التحدث فسوف يختار وقتاً يناسبه هو. وكل ما يمكنها فعله هو أن تكون صبورة ومستعدة عندما يصبح جاهزاً للحديث.

كانت تعلم أنّ الإصغاء إليه سيؤلمها. فقد تعذبت عند لقائها إيفون الجميلة وادعاءها السعادة للعروسين الجديدين. كان الألم يعتصر قلبها كلما استرقت النظر إليهما برأسيهما المتقاربين والابتسامات الخاصة المتبادلة.

ماذا لو اختلفا بشأن تأسيس عائلة؟ أو أنه تخلّى عنها لأنها عاجزة عن الإنجاب وهذا سبب أسوأ؟

سيكون الاستماع إليه في مثل هذه الظروف والتعاطف معه قاسياً جداً عليها. لكنها تستبق الأمور، فما من فائدة من القلق بشأن أمر قد لا يحدث.

* * *

لم تعرف ما تختاره من ملابس تلك الليلة لأنها لا تعرف إلى أين سيخرجان. لكنها اختارت فستاناً زهري اللون يصل إلى الركبتين مع شرائط رفيعة. أملت أن يكون مناسباً لأي مطعم قد يختاره. بعدئذ، وضعت زينة وجهها بعناية وانتقت أقراطاً مناسبة ووضعت عطرها المفضل.

رن جرس الباب أثناء انتعالها صندلها العالي الكعب، فحملت حقيبة يدها وتوجهت نحو الباب.

كاد قلبها يتوقف واحتاجت بضع ثوان لاستعادة تنفسها الطبيعي.

كان لوك يرتدي بذلة سوداء رسمية وربطة عنق وقميصاً أبيض.

كان يبدو أكثر وسامة في كل مرّة تراه فيها. ابتلعت ريقها قائلة: «واو، رائع».

ابتسم لها قائلاً: «بل أنت التي تبدين رائعة يا صغيرة».

- شكراً. لكن هل ملابسي مناسبة؟ أعني لم أتوقّع أن تكون ملابسك رسمية إلى هذا الحد؟.

- أنت رائعة ومناسبة تماماً.

انتفض قلبها مرة أخرى. وتوجب عليها أن تذكّر نفسها بأنه لا يتكلم سوى عن ملابسها.

- هل نذهب؟

أومأت برأسها. وبعد أن أقفل الباب مدّ لها ذراعهُ ومشيا سوياً نحو السيارة. فتح لها الباب فجلست بجانبه. قالت لنفسها وهي تنتظره بأن لا حاجة لأن تشعر بالعصبية فهما مجرّد صديقين يخرجان لتناول العشاء..

كانت محقة، فلا حاجة للشعور بالتوتر. فقد دعاها لوك لتناول وجبة طعام لذيذة. وتحدّثا وكأنهما لم يفترقا يوماً، مرتاحين تماماً لبعضهما البعض.

أخذ الحديث منحى شخصياً عندما أخبرها لوك عن بعض الأماكن التي زارها كمراسل صحفي.

قالت عند نهاية إحدى القصص: «عليك التوقف عن إضحاكي وإلا ستفسد زينة وجهي».

ابتسم لها فتغضنت تقاسيم بشرة وجهه المسمر حول عينيه اللامعتين، وقال: «يسرني سماعك تضحكين يا صغيرة. فلطالما كنت جمهوري المفضّل».

- حقاً!

أعاد ملء كأسها قائلاً: «لست مضطراً لتفسير النكات فأنت تفهمينها على الفور».

www.elromancia.com

- كذلك لين.

- أجل. لكنها أختي، وهي مضطرة دوماً لوصفي بالمغفل بعد أن تنتهي من الضحك.

- حسناً.

رفع يده: «دعيني على الأقل أعيش في وهم أنك لا توافقينها الرأي في ذلك».

ابتسمت مغتبطة بنفسها: «هل تظن فعلاً أنك قادر على الاستقرار هنا؟»

تردّد قبل أن يجيب: «اعتقدت أني أستطيع ذلك، لكن...».

- لكنك ستفتقد الإثارة والصخب، اليس كذلك؟

أسند ظهره إلى الوراء، وبعد لحظات طويلة تنهد رافعاً كتفيه: «حياة الصخب والإثارة لم تعد تعنيني منذ سنوات طويلة».

- ما الأمر إذاً؟ لماذا تعيش كل هذه الحيرة؟

-سأفتقد لأولاد. إني افتقدهم الآن.

- أطفال الميتم، أليس كذلك؟

هز رأسه قائلاً: «جميعهم. وبشكل خاص إحدى الفتيات الصغيرات التي كانت ترافقني كظلي، وهي تدعى شارما».

مالت ديللا برأسها جانباً وهي تنظر إليه وقد حجب جفناه نصف المغمضين عينيه. اعتقدت أنها تقع في حبه أكثر فأكثر. كل ساعة تمضيها معه تجعل مشاعرها أقوى. كيف ستتأقلم مجدداً مع إمكانية رحيله؟

أجبرت نفسها على العودة إلى أرض الواقع مؤكدة أنها ستتأقلم مع الوضع من جديد، فلطالما فعلت. ومع ذلك لا بأس بفكرة حماية نفسها منه ولو قليلاً، والأمتناع عن الوقوع في حبه أكثر فأكثر.

- متى تعتقد أنك ستصل إلى اتخاذ قرار نهائي؟

- قريباً. يجب أن أتخذ القرار في أقرب وقت ممكن.

أومأت برأسها وبعد أن نظرت إليه لبرهة سألته: «لوك أخبرني كيف

وصل بك الأمر للعمل في ميتم. أقصد أنك سافرت حول العالم تلاحق تقاريرك الصحفية، وفجأة صرت تدير متيماً. لم تخبرنا قط لماذا أو كيف حصل ذلك».

رفع نظره إليها وتوقعت للحظة أن يغيّر الموضوع على طريقته المعتادة لكنه أطبق فمه وخفض نظره ثم قال: «ذهبت إلى بوبال لملاحقة أحداث إحدى القصص التي أكتب عنها، فبعد مضي عشرين عاماً ما زال الآلاف يعانون. تعلمين كيف تجري الأمور».

هزت رأسها.

- وأفترض أنك تعلمين ما الذي حدث هناك. أليس كذلك؟

- طبعاً إنه مثال جيد على سوء إدارة الأزمات.

زفر متضايقاً وأكمل: «أجل، صحيح».

- لا يمكن تصوّر مدى فداحة الكارثة.

- الكارثة الأساسية نعم. لكن آثارها مستمرة حتى اليوم وهذا ما لا يعرفه الناس. لا يزال عدد الأيتام في ارتفاع مستمر لأن الأهل قد يموتون بفعل تعرّضهم للغازات منذ عشرين سنة. ينقل هؤلاء الأطفال إلى ميتم خيري يبعد ثمانية أميال عن بلدتهم. وقد قصدت المكان في إطار البحث الخاص بالقصة التي أكتب عنها.

توقف عن الحديث ليسألها عما إذا كانت ترغب في إحتساء القهوة. وافقت ديللا فطلبا فنجانين من القهوة.

تنهّد وضاقت عيناه وهو يتابع: «كانت المرّة الأولى التي أزور فيها ميتماً»

- هل كانا الأمر صعباً؟

- نعم ولا. أمضيت معظم الوقت العب الكريكيت مع الصبيّة. لكني وجدت الرحيل صعباً.

- أنا واثقة من أن الأولاد سُرّوا بزيارتك.

ضحك قائلاً: «صدقيني، استفدت من زيارتي أكثر مما فعلوا.

www.elromancia.com

حينذاك، اعتقدت أن عليّ البقاء، لكن متابعة أحداث قصة أخرى أجبرتني على الرحيل. فثمة قصة أخرى دوماً».

وبدا قلقاً وهو يردف: «ومأساة أخرى».

- لكنك عدت؟

- وجدت أن دور الأيتام تنتشر في جميع أنحاء آسيا. وبدأت أزور تلك القريبة من مكان تواجدي. ولن تصدقي كم فتح ذلك عيني على فداحة المشكلة.

حدّق في الأفق البعيد وكانت عيناه رطبتين عندما عاد ينظر إليها ليقول: «هل تصدّقين أنه يتم العثور على مئة طفل مشرد يومياً عند محطة سكة الحديد الداخلية في كالكوتا؟»

طرفت بعينيها عاجزة عن تصوّر مثل هذا الأمر: «كل هذا العدد؟»

هز رأسه إيجاباً.

- لكن... لكن إلى أين يذهبون جميعاً؟

- إلى دور الأيتام في المدينة ومحيطها. يقع الميتم الذي أعمل فيه على أطراف كالكوتا.

- لا أعرف ماذا أقول.

رفع يديه وتركهما تسقطان على الطاولة أمامه قائلاً: «ولا أنا كذلك. تلك هي المشكلة. لقد تحدثت عن كل تلك القصص المأساوية التي شهدتها، لكن كلامي لم يؤثر في مسار الأحداث أو يشكل فرقاً. انطلقت في البداية على أمل تغيير الأمور لكني لم أستطع ذلك. لم أعد أعرف ماذا يمكن أن أقول أو أفعل أكثر».

نظرت ديللا إلى يديه الموضوعتين على الطاولة قائلة: «عليك أن تعرف لوك أن القصص التي رويتها أحدثت فرقاً. فحتى لو دفعت بعض الأشخاص ليتبرّعوا للأعمال الخيرية أو يتطوّعوا في منظمات الإغاثة أو حتى يفكروا في ما يحدث، فالأمر يستحق العناء».

حدق طويلاً في أيديهما ثم أفلت يديه ليمسك بيديها بحنان: «لم أقصد

الشكوى. لماذا لا تخبرينني عن مشاريعك بشأن الحديقة؟».

- أي حديقة؟

- حديقتك، قلت إنها تحتل المرتبة التالية في لائحة أولوياتك.

قطّبت قائلة: «ليس عليك أن تغيّر الموضوع».

لاحظته يبتلع ريقه بصعوبة ويسأل: «هل ستقومين بتصميمها بنفسك أو ستجلبين إخصائياً؟».

أدركت أنه لا ينوي العودة إلى الحديث مجدداً في موضوع سبب له الألم. وفكرت بسؤاله ثم أجابت: «لا أحتاج لمصمم. أعلم تماماً ماذا أريد».

- أخبريني.

- حسناً، قد تندم على طرح السؤال.

وصفت له الحديقة بالتفصيل متطرقة لكافة أنواع النباتات التي تنوي زرعها، غير قادرة على إخفاء اللهفة من صوتها. كانت تأمل ألا تضطر للانتظار طويلاً. فاجتماع مجلس الإدارة ينعقد بعد شهر، وهو المكان الوحيد الذي يتخذ فيه قرار تعيين شريك جديد.

بدت الشركة مصممة على الاندماج مع شركة علاقات عامة استشارية أخرى في المستقبل القريب. وتوسّع الشركة وانتشارها العالمي سوف يزيدان من أجور كافة الموظفين لكن مع حصولها على منصب الشريك سوف تضمن أمانها المالي مدى الحياة.

وعندما أنهت عملية الوصف، انقبضت عضلات وجهها وقالت: «من المؤكد أني أضجرتك بشدة».

- كلا. يبدو الأمر جيداً.

- ليس عليك أن تدّعي أنك مهتم للأمر.

ضحك قليلاً وسألها: «ما هي مشاريعك لعطلة نهاية الأسبوع؟».

- ليس لدي أي منها، عليّ أن أعمل.

- ستعملين مجدداً؟

www.elromancia.com

ضحكت ديللا قائلة: «وكأنك من النوع الذي يعمل من التاسعة حتى الخامسة فقط».

فقال بتكشيرة: «لقد أصبت في ذلك لكن عليك أن تجدي الوقت للراحة، امرحي قليلاً. حتى أنا أعرف أهمية ذلك. إنه حقاً مهم».

قالت وهي توجه إصبعها نحوه: «لا تقلق بشأني، فأنا بخير وسأعمل في المنزل. لذا سآخذ فرصة من المكتب».

يوم السبت، كانت ديللا قد عملت لبضع ساعات وأنجزت أكثر مما توقعت عندما سمعت جرس الباب. لطالما نجحت في التركيز على عملها بعيداً عن انشغالات المكتب من اتصالات هاتفية واجتماعات، وقد انتهت اليوم من تصحيح كتيّب لأحد العملاء المهمين الجدد ما يعني أن الطباعة يمكن أن تبدأ نهار الإثنين.

كانت تفكر في المهمة التالية عندما وصلت إلى الباب وفتحته لتجد لوك واقفاً على العتبة. رفعت عينيها إليه تسأله: «ماذا تفعل هنا؟».

أجابها وهو يحمل كيس: «حان وقت الغداء».

- حقاً؟

- أجل. وأراهن على أنك لم تفكري في التوقف عن العمل لتناوله؟

- حسناً...

- ماذا قلت لك عن تخصيص وقت للراحة؟

أدارت عينيها وتنحّت جانباً لتسمح له بالدخول لكنه لم يتحرك.

- اجلبي المفاتيح. ستتناول الغداء على الشاطئ.

ترددت..

- ماذا تنتظرين؟ أنت تعيشين على أحد أجمل شواطئ العالم ولا تفكرين بالنزول إليها.

- بلى. بالطبع. أفعل ذلك أحياناً، من وقت إلى آخر.

تنهّدت قبل أن تضيف: «حسناً».

التقطت المفاتيح من على طاولة قاعة الاستقبال وتناولت هاتفها

الخلوي وعلّقته في حزام سروالها القصير.

- هل تحتاجين إليه حقاً؟

ردّت بحزم: «أجل، طبعاً».

هز كتفيه قائلاً: «لا بأس. هل نتمشى على الشاطئ قليلاً قبل تناول الطعام؟ أراهن على أنك أمضيت فترة الصباح جالسة».

- لا بأس بنزهة قصيرة.

توجها شمالاً نحو الشاطئ حيث أصبح المشي أكثر سهولة على الرمال الرطبة عند طرف المياه. نظرت ديللا إلى عائلة تلعب الكريكيت على الشاطئ، فشعرت بالانقباض وخطرت لها أفكار حزينة. دفعتها بعيداً متعمّدة تصفية ذهنها والتركيز على جمال النهار والمشي مع لوك. كانت سعيدة لأنها لم تنتعل حذاءها لتشعر بملمس الرمال بين أصابعها. كانت تحب هذا الوقت من السنة، فهذا فصل الربيع الدافئ بما يكفي للاستمتاع بتناول وجبة طعام خارجاً، لكنه ليس حاراً كما سيكون الحال بعد بضعة أشهر.

رمق لوك ديللا بنظرة جانبية. بدت تعبة فسألها بينما كانا يجتازان بقعة من الرمل للجلوس في ظل بعض الصخور الكبيرة:

- هل تعملين كل عطلة أسبوع؟

أجابت: «معظمها».

جلست على الرمال وثنت قدميها تحتها. ركع بالقرب منها وفتح كيس الأغراض. ثم سألها: «هل ترغبين بالخبز الفرنسي؟».

أخذت قطعة خبز قبل أن تقول: «رائع! هل جلبت شيئاً نشربه؟ أشعر بالعطش بعد المشي».

- أجل، مياه معدنية منكهة.

أعطاها القنينة وراقبها وهي تعدّل جلستها لتفتحها وتشرب منها.

- إذاً ما الذي تحبينه في عملك يا صغيرة؟

قالت وفمها مليء بالخبز والسلطة: «كل شيء».

www.elromancia.com

أمال رأسه ونظر إليها وهي تمضغ قائلاً: «هلاّ حدّدت أكثر؟».

استدارت لتنظر في وجهه. كانت ملامحها تعكس مشاعر مختلطة وأراد أن يعرف في ما كانت تفكر. بعد بضع لحظات هزت كتفيها وقالت: «أحب الشعور بالرضا عندما أعرف أني قمت بعملي جيداً».

- جيد. نستطيع قول ذلك عن أي وظيفة نقوم بها.

قضمت قطعة أخرى من الخبز مضغتها وابتلعتها ثم شربت جرعة من المياه المعدنية وضاقت عيناها وهي تقول له: «أحب التحدي الذي يثيره إيجاد الحل الصالح الذي يناسب كل حالة، ووضع برنامج يلائم مطالب محدّدة، فأعرف أني ساعدت الزبون على ايصال رسالته وتمريرها بأكثر الطرق فعالية».

هز رأسه يسألها: «وماذا عن عملائك؟»

- مابهم؟

- أتحبينهم؟

ترددت في الإجابة وقالت: «معظمهم. لا مناص من الصدامات من حين إلى آخر لكنني محترفة وأستطيع التعامل مع المسألة. أنا فخورة بنفسي لقدرتي على القيام بذلك. أركز فقط على القيام بالعمل على أفضل وجه ممكن».

سقط صحن طائر أحمر يلاحقه كلب ضخم اسود على الرمال بينهما. التقط لوك كيس الطعام بسرعة فيما التقطت ديللا الصحن. وفيما وقفت لترميه قفز الكلب عليها واضعاً قائمتيه على كتفيها فرماها أرضاً على ظهرها.

صرخ لوك بالكلب وشده من طوقه وأبعده عنها. نظر إلى ديللا التي كانت ترتعش على الأرض فانقبضت معدته قلقاً. وأثناء انشغاله بها هرب الكلب من قبضته وركض على الشاطئ والصحن في فمه.

تبعت نظراته الغاضبة الكلب الهارب فرأى ولداً يلوّح بالطوق في الهواء ويصرخ بكلمات لم يفهمها.

ابتلع الكلمات العدائية التي كان سيتلفظ بها فلا يمكنه أن يغضب من ولد صغير. واستدار نحو ديللا وركع على ركبتيه بجانبها يمسح الرمال عن وجنتيها بلطف بقدر ما تسمح به يداه الخشنتان.

وقال لها: «لا بأس ياصغيرة، لقد ذهب».

فتحت عينيها والرمال لا تزال عالقة بين رموشها وضحكت له. إنها تضحك ولم تكن تبكي.

جلس وقد استرخت عضلاته مع زوال التوتر الذي أحسّ به فجأة. هز رأسه قائلاً: «ظننته آذاك أو أخافك».

لم يشعر قط بمثل هذه الرغبة في حمايتها حتى عندما كانت فتاة ضعيفة جداً.

قالت وهي تربت على كتفه: «لا تقلق لقد أراد الصحن وحسب».

وعاودته ذكرى إيفون تستشيط غضباً وتطالب بالانتقام من فتاة صغيرة سكبت الحليب على حذائها الجديد. واشتدت عضلات فكيّه. كان يجب أن يدرك حينذاك أن مصير زواجهما الفشل. كانت إيفون لتطلب قتل ذلك الكلب.

هذا ما فعله بك الحب. أفقدك قدرتك على اتخاذ القرار الصحيح وجعلك تتزوج شخصاً ما كنت لتحبه حتى في الظروف العادية. لقد جعلك تتألم عندما كشفت عن وجهها الحقيقي وأعطاها القوة لتحطم قلبك.

عادت ديللا تقف على قدميها فيما عاد هو مجدداً إلى أرض الواقع وتحرّك بسرعة لمساعدتها. أمسك بذراعيها فبات قريباً جداً منها لدرجة أنه استطاع أن يشمّ عطر بشرتها الخفيف. حرك ذلك ذاكرته، فقال قبل أن يتمكن من ردع نفسه: «رائحتك رائعة».

نظرت إليه بعينين واسعتين وقالت: «أنا لا أضع عطراً».

ولكنها أضافت: «لا بد أنه الصابون بعطر اللافندر».

- أجل لا بد أنه كذلك. فأنا أتذكر هذه الرائحة جيداً.

لقد تغلغلت إلى أعماق روحه تذكره بالأيام السعيدة التي أمضاها

معها ومتعة الوجود برفقتها.

أزالت الرمال عن ثيابها وشعرها.

- ماذا تحمل معك أيضاً في الكيس؟ ما زلت جائعة. والخبز أصبح مغطى بالرمال».

- لديّ فواكه أو الكيك. اختاري.

- كلاهما. الفواكه أولاً ثم الكيك من فضلك.

جلست على الأرض مجدداً وابتسمت له. فشعر بموجة من الدفء تغمره وتحيط به واختفت إيفون تماماً.

* * *

قالت ديللا وهي تدير المفتاح في قفل الباب: «حسناً، شكراً على الغداء. لدي فعلاً الكثير من العمل لأقوم به، لذا..».

- لذا لن تدعيني للدخول. حسناً، أتفهمك.

أحسّت بدفء ابتسامته يسري في جسدها ويصل حتى أخمص قدميها.

- حسناً ما رأيك في أن تخرج مساءً لتناول العشاء؟

- مجدداً؟

- عليك أن تأكلي.

أحست بالذنب وهي تقول له: «لكنني أكل. في الواقع لا استطيع الخروج معك الليلة. لدي مشاريع أخرى».

مد يده يمسح بعض الرمل العالق على وجنتيها وقال: «هل أستطيع أن أجعلك تغيرين خططك وتخرجين معي؟»

كادت ركبتاها تنثيان تحت تأثير لمسته وهي تقول: «سأزور لين».

تراجع خطوة وهو يضحك قائلاً: «سأوافيك إلى هناك إذاً».

اتجه نحو سيارته التي ركنها في مكان ما في الساحة. وتوقف ليرمي بقايا الغداء ويلوّح لها مودّعاً. لوحت له بالمقابل قبل أن تدخل إلى المنزل. لقد مضى وقت طويل منذ استمتعت باستراحة غداء إلى هذا الحد. أملت ان تراه في بيت لين فقد بدأت تشتاق إليه.

٥ - أنت حقاً جميلة

تضمنت أمسية ديللا مع لين ملايين الرسومات الملونة وعشرات نماذج اللوحات. كانت ديللا تجلس وسط غرفة جايمي وتسمح له باستعمال كتفيها كمنحدر لسباق السيارات فيما هي ترتب الرسوم وتسلم لين مجموعة منها.

قالت لها: «جربي هذه».

حملت لين إحدى الصور ووضعتها على الحائط: «لست واثقة من تلاؤم ألوان الرسوم البارزة..».

قطع حديثها جرس الباب فقالت: «من المزعج؟ لن ننتهي أبداً على هذا الحال».

- لعله لوك. قال إنه سيمرّ بمنزلك فيما أنا هنا.

قالت ديللا ذلك بشكل طبيعي مع أن عضلات معدتها انقبضت لسماعها جرس الباب.

قالت لين وهي تغادر الغرفة: «لا بأس إذا كان هو».

انزعجت لشعورها بهذه الحماسة لرؤيته فانشغلت باللعب مع جايمي، الذي راح يقهقه ويحاول الهروب منها لكنها أمسكت به ونثرت السيارات على الأرض. كانت راكعة على يديها وقدميها تجمع السيارات المبعثرة عندما فتح الباب.

قالت لين: «انتبه لخطواتك، فديللا وجايمي يلعبان بالسيارات».

رفعت ديللا نظرها. كان لوك يقف بالباب راسماً ضحكة على ثغره. سألها: «ألا تكتفين بسيارتك المرسيدس؟ هل تسعين لأخذ سيارات

www.elromancia.com

الصبي؟»

فردت بلهجة ساخرة: «أريدك أن تعرف أني أعشق سباق السيارات».

- لا أعتقد أنك ماهرة إلى هذا الحد..

كشرت وهي تقول: «اصمت».

هزت لين رأسها قائلة: «ليس لديّ فكرة عما تتحدثان عنه. لكن بما أنك هنا لوك، فقم بشيء مفيد وأمسك بهذه اللوحة».

ثم ردّت اليد التي مدّتها تجاهه وأضافت: «لكن الأفضل أن تأخذ جايمي إلى الغرفة الأخرى وتشغله بشيء ما ريثما ننتهي من عملنا أنا وديللا هنا».

وبعد مرور ما يقارب الساعة، اختارت لين الألوان التي ستعتمدها لغرفتي الولدين. ودخلت ديللا إلى غرفة الاستقبال لترى لوك جالساً على الأريكة فيما كايسي تنام في حضنه وجايمي يشاهد الصور المتحركة.

اعتصر قلب ديللا لهذا المشهد.

نظر إليها قائلاً: «أتمنى لو كان لدينا كل هذه القنوات في طفولتنا».

اعترضت لين وهي تدخل الغرفة وراء ديللا: «لم تكن تجلس ما يكفي من الوقت لتشاهد التلفزيون».

ابتسم لها قائلاً: «قد تكونين محقة بهذا الشأن».

- أعلم أني محقة، حتى أنك لم تتخلص بعد من حركتك الدائمة تلك ما يجعلني غير مصدقة أنك جاد بشأن استقرارك هنا».

أجابها قائلاً: «على كل منا أن يستقر في وقت ما. ولعلني توصلت إلى قرار يقول إن الوقت حان لذلك».

وضعت لين يديها على جانبيها وقالت: «لعلك؟ هذا يعني أنك لم تقرر بعد؟ ظننت أنك أتيت إلى هنا لأنك اتخذت قرارك».

قال بابتسامة محتالة: «قد أترك عملي هنا وأعود إلى الهند».

- ستنهار أمي إذا فعلت. ما كان عليك إخبارها أن عودتك نهائية.

أومأ برأسه وقال: «أعتقد أنك محقة. لكني لم أكن أفكر بشكل سليم».

- وهل تفعل الآن؟

هز كتفيه غير واثق.

- إذاً قل لنا ما الذي يزعجك؟

- أعطوني فرصة. فالنساء يتحدّثن تحت الضغط أما الرجال فعلى العكس. بالمناسبة، جلبت بعض العصير ووضعته في الثلاجة.

دفعت ديللا إلى الكنبة قائلة: «حسناً، سأجلبه. أجلس أنت».

قالت لها ديللا: «أنا بخير، سأساعدك في المطبخ».

- اجلسي!

جلست ديللا وهي تقول: «كلاكما سيء وتحبان توجيه الأوامر».

أجابتها لين بلطف: «آسفة، لكنك لا تكفين عن العمل كما يبدو. عليك أن تتعلمي كيف تخصصين وقتاً للراحة».

راقبت لين تغادر الغرفة، ونظرت إلى لوك بطرف عينها قائلة: «أعرف كيف أرتاح».

وتابعت: «إنها محقة فسوف تنهار دون إذا رحلت الآن. لكن يجب ألا تدع ذلك يمنعك من المغادرة إن شعرت أن عودتك غلطة».

زفر نفساً يدل على انزعاجه وقال: «لا أعلم ماذا أعتقد. أشعر بأن مكاني هنا لكن..».

جلسا صامتين لبضع دقائق قبل أن تدخل لين حاملة ثلاثة أكواب وطبق مقرمشات وجبنة.

قالت: «ديللا، هل وجدت فستاناً ملائماً للسبت المقبل؟»

أدارت ديللا عينيها قائلة: «كلا، حتى أني لم أبحث عن واحد بعد».

- يجب أن تتركي انطباعاً جيداً على أولئك الناس إذا أردت أن تحصلي على الترقية.

- لا أعتقد أن الفستان قد يحدث أي فرق.

www.elromancia.com

- لا تعرفين ما قد يحدث. لمَ نفوت الفرصة؟. عليك أن تقصدي ذاك المتجر الصغير على طريق أونلي حيث اشتريت فستان حفلة باتريك. أتذكرينه؟ أراهن أنك قد تجدين شيئاً مناسباً هناك.

- سأل لوك بعد أن أخذت لين الطفلة النائمة في حضنه: «ولماذا تريدين الفستان؟».

- من أجل حفل عمل.

سألت لين: «وما رأيك أن يرافقك شاب؟ تحتاجين لشاب وسيم وإلا سيذهب الفستان سدى».

أجابت ديللا وهي تحملق فيها: «أفكر في الطلب من مايكل أن يرافقني. أعرف أني تأخرت».

- هل سيتمكن من تلبية طلبك في مهلة قصيرة؟

- آمل أن يفعل.

- أستطيع مرافقتك. هل قلت السبت المقبل؟ سأكون سعيداً إذا رافقتك في حال لم يتمكن مايكل من الذهاب معك.

وأضاف لوك وهو ينظر إليها من فوق كوبه: «بالمناسبة من هو مايكل؟».

ضحكت لين وهي تقول: «إنه طبيب أسنان ديللا، وقد طلب منها الخروج معه ويديه في فمها. يالها من قصة رومنسية رائعة».

نظر لوك إلى ديللا مطولاً: «لم أكن أعلم. منذ متى وأنت تخرجين معه؟».

- أنا لا أخرج معهُ.

ونظرت إلى لين تحذّرها: «ولا تبدأي».

ضحكت لين مجدداً وهي تقول: «عذراً، لكنه غريب الأطوار».

- ليس غريب الأطوار عموماً. لقد أحب أسناني وحسب.

أغمض لوك عينيه فجأة.

لوّحت لين بإصبعها وهي تقول: «لا، لن أخبرك. استخدم مخيلتك

فأنا واثقة من أنها واسعة. لكن صدقاً ديللا، لا أعلم لماذا تجذبين غريبي الأطوار.

قال لها لوك: «أنت تخرجين مع الكثير من غريبي الأطوار أليس كذلك؟»

قالت: «كما قالت لين، يبدو أني أجذبهم فعلاً».

ضحك لوك قائلاً: «حسناً، كنت صادقاً في عرضي. سأرافقك إن كنت ترغبين في ذلك، أم أنني لست وسيماً بما يكفي؟».

نظرت إليه وهي تقول في سرّها إن لم تكن أنت لست وسيماً فمن يكون؟

- كلا، لا بأس بك. إن كنت واثقاً من أنك تريد الذهاب فعلاً؟

- لا مانع لدي أبداً.

ونظر إلى ساعة يده ووقف قائلاً: «يجب عليّ أن أذهب، فلدي موعد؟».

سألته لين بسرعة: «موعد مع شخص نعرفه؟»

نظر إلى ديللا وقال: «كلا. الأمر يتعلق بالعمل. ماذا يجب أن أرتدي ليلة السبت؟».

- تحتاج لبذلة رسمية.

وخطر لها كم سيبدو وسيماً في البذلة الرسمية فاختلج قلبها بقوة بين ضلوعها. رفعت نظرها فرأت لوك يراقبها وهو يرسم على شفتيه ابتسامة العارف الماكرة. لكن لا يمكن له أن يعرف. لا يستطيع أن يدرك ما الذي يدور في رأسها.

قالت: «سأطلعك على التفاصيل وألتقيك هناك».

- لا بل سأمر لاصطحابك. إن أردت التأثير في أحدهم فسوف نفعل ذلك بشكل مناسب.

تدخلت لين قائلة: «بالضبط. لا حاجة لأن تخبري أحداً أن لوك مجرّد صديق قديم. إنه مرافق رائع للشريكة في المؤسسة، أليس كذلك؟ فهو

طويل ومرتب وليس بشعاً».

قال لها: «شكراً، ولاتنسي أن أسناني ليست مقززة».

عادت ديللا نهار الأربعاء من العمل لتجد لوك واقفاً على عتبة باب بيتها.

- ماذا تفعل هنا؟

- فكرت في أن أمر لأرى الثوب الذي اشتريته لليلة السبت.

رفعت حاجبيها قائلة: «حسناً، حظك سيء. لقد أرسلته للتقصير. من سيئات قصير القامة أنك تجد كل ما تشتريه طويلاً».

قال من دون أن تبدو عليه خيبة الأمل: «لا بأس».

- إذا لماذا أتيت فعلاً؟

ضحك قائلاً: «ظننت أنك قد ترغبين في المشي قليلاً وتناول شيء ما».

أخفضت ديللا ناظريها نحو حقيبة الكومبيوتر الشخصي وحقيبة الملفات المنتفخة ثم رفعتهما إلى وجه لوك. عليها أن توافق، لكن هذا يعني أنها ستسهر طوال الليل مجدداً. تنهدت وقالت له: «دوماً تفسد الأمور علي يا لوك برايفورد. لطالما كنت تفعل».

- على العكس. بل لطالما كنت الشخص الذي يجعلك ترتاحين حين تجهدين نفسك بالدراسة. لطالما كنت نافعاً لك.

فتحت الباب ودخلا وهي تقول له: «أعطني بضع دقائق لأغير ملابسي».

- طبعاً.

سمعت خطوات لوك الذي توجه نحو المطبخ فيما هي تصعد الدرج. بالرغم من الخلل الذي سببه مجيئهُ في برنامج عملها إلا أنها لم تتمكن من خنق شعورها بالإثارة لرؤيته ينتظرها. بدا الوقت طويلاً جداً حتى نهار السبت.

ارتدت سروالاً أبيض وقميصاً مخططاً بالأبيض والأزرق. وتردّدت

برهة قبل أن تمد يدها مجدداً إلى الجهة الخلفية من خزانتها وتسحب سترة قطنية قديمة كالتي يرتديها لوك. كان لدى لين سترة مشابهة أيضاً لكنها لن تتمكن من ارتدائها اليوم.

أدخلت ذراعيها في الكمّين وعاودتها ذكريات اليوم المجنون الذي اشتروها فيها لا سيما تلك الذكرى الثمينة عندما حملها لوك من ساحة التزلج بعد أن وقعت. وانقبضت للذكرى. كان لا بأس بالألم الذي شعرت به طالما حملها لوك بين ذراعيه مع أنها لم تسقط على الأرض عمداً. لو تعمّدت السقوط لاختارت كسر عظمة أخرى غير عصعصها.

استقبلها لوك بضحكة وهو يقول: «ما زلت تحتفظين بسترتك».

- نعم. هل أنت مستعد للذهاب؟

تقدّمها نحو الباب يفتحه وهو يسألها: «أتذكرين حين اشتريناها؟».

- وكيف أنسى الألم الذي شعرت به؟

تخطته واستدارت لتقول شيئاً ما لكن الكلمات طارت من رأسها عندما رفع نظره إليها وهو يبتسم ابتسامة مذنب. هل كان يتأمل مؤخرتها؟

أغلق الباب وانضم إليها ممسكاً بيدها بطريقة جد طبيعية وكأنهما معتادان على ذلك. لم تسحب يدها فقد أحسّت بشعور جيد للمسته.

- هل نتمشى على الشاطئ أم على الطريق؟

- الشاطئ.

في وقت لاحق، صعدا السلالم العريضة المؤدية من الشاطئ إلى ساحة هينلي. وبعد نقاش قصير توجها إلى المطعم الموجود عند الجانب الجنوبي من الساحة، المفضل لدى ديللا.

بعد أن جلسا وطلبا الطعام رمقت ديللا لوك بنظرة اخترقته وقالت: «هل مررت بي الليلة لسبب محدد؟ يبدو أنك تريد قول شيء، هل تحمل لي بعض الأخبار؟».

- الأخبار؟ أتعنين بشأن قرار الرحيل أو البقاء؟

أومأت برأسها، عاجزة فجأة عن الكلام وكأن شيئاً ما علق في حنجرتها. لم يمضِ على عودته سوى وقت قصير وقد اعتادت وجوده. فمجرد وجوده أظهر مدى الفراغ في حياتها.

لوح بيده وأضاف: «لم أتخذ أيّ قرار بعد، لكنك محقة. ثمة ما أريد قوله. لقد فكّرت في الأمر وأريد الاعتذار».

سمحت لتنهيدة طويلة بأن تخرج من بين شفتيها، تنهيدة شعرت وكأنها كانت تحبسها لساعات. وقالت: «لوك، ما الأمر الذي تريد الاعتذار عنه؟».

- تلك الليلة كنت تحاولين أن تمدي لي يد الصداقة ولكني تصرّفت بشكل فظ معك حتى أنني لم أشكرك على المحاولة.

قطبت تسأله: «عمّ تتحدث؟»

- أعرف أني لم أكن صديقاً جيداً في السنين الماضية. فالبريد الالكتروني الذي أرسله من حين إلى آخر بالكاد كان يبقينا على اتصال. أنا لا أستحقك.

- لا تتفوه بالحماقات.

- كلا بل ما أقوله صحيح، وأريدك أن تعلم أني أقدرك. لطالما فعلت. في السنوات الأولى كانت رسائلك تساعدني على ألاّ أفقد رشدي.

- آه لوك لم تكن رسائل مميزة أو خاصة.

لقد حرصت على ألا تحمل رسائلها معانٍ خاصة، وعملت على أن تبقي محتواها ضمن حدود الصداقة الصرفة. ثم توقفت عن إرسالها عندما تزوّج.

- بل كانت تصلني دوماً بالحياة الطبيعية. كانت تساعدني على تذكر طعم الحياة الحلوة، لأنها كانت تبدو أحياناً مليئة بالمعاناة فقط.

بدا وكأن الألم الذي شعر به انتقل إليها واعتصر صدرها فقالت له: «أنا آسفة لأنك أمضيت أوقاتاً عصيبة. لماذا بقيت بعيداً كل تلك المدّة؟

لماذا لم تعد إلى الديار من قبل؟»

هز كتفيه مجيباً: «قدري السيء، ربما. لقد استلزمني وقت طويل لأدرك مدى ضعفي ومدى تفاهتي».

- لم تكن تافهاً. لقد ربحت جوائز عديدة بسبب القصص التي كتبتها. لقد فتحت أعين الناس ونبهتها إلى الحقيقة.

هز رأسه بحزن وحدّق في البحر لفترة طويلة ثم ابتسم لها قليلاً.

- حالما أنتهي من كتابة القصص، كنت أحاول أن أنساها لكنها تظل محفورة في رأسي. وتعلمين كيف هي الذاكرة... ففي أصعب الأوقات تثير أتفه حادثة ذاكرتي وأعيش التجارب بحذافيرها من جديد.

- لا بد أن هذا مريع.

تردّد قبل أن يقول: «إنه فعلاً كذلك. لا يمكنك أن تتصوري مدى فظاعته. مهما كانت المصيبة سواء أكانت زلزالاً أو انفجاراً أو طوفاناً أو حرباً فالأطفال هم أكثر من يعانون وتستمر معاناتهم من دون أهلهم أو أحبائهم».

وتوقف فجأة عن الكلام وأمسك يدها شابكاً أصابعهما: «على أي حال أردت أن أعبر عن امتناني لأنك ساندتني. وأنا سعيد لأنك معي الآن».

علقت الدموع في عينيها وجاهدت لئلا تنهمر على خدّيها، ثم قالت وهي تعتصر يديه بين يديها: «إذا أردت قول المزيد...».

إبتسم وأجاب: «ستكونين أول من يعلم، أحب الكلام معك إذ أكون على سجيتي ياصغيرة».

بادلته الابتسامة قائلة: «وأنا كذلك».

ليلة السبت، راح لوك يطرق بأطراف أصابعه على المقود محاولاً تصفية ذهنه. لقد وصل باكراً ما منحه الوقت ليبقى في السيارة ويفكر. وهذا لا يعني أنه قادر على التفكير أصلاً، فقد تخلى عن المحاولات نهائياً على مايبدو.

www.elromancia.com

المشكلة هي أن معظم أفكاره بدت مؤخراً غير مناسبة. فهي تدور حول ديللا، أفضل صديقة له، ما جعله يشعر بأنه خائن. منذ نهار السبت حين ارتدت السروال الأبيض الضيق الذي يبرز مفاتنها، لم يعد يقدر أن يفكر فيها على أنها مجرّد صديقة. وارتعب من أن فكرة تعرف ذلك عند النظر في عينيه.

دفع بكم قميصه إلى الأعلى ليرى الساعة. لقد استنفد وقته في السيارة وعليه أن يطرق باب ديللا ويخفي في داخله أفكاره عنها. بعد نفس آخر عميق خرج من سيارته مقنعاً نفسه أنه يستطيع إخفاء مشاعره. سوف ينظر في وجهها الجميل ويستمع إلى صوتها العذب ويذكّر نفسه بأنهما صديقان، وليسا حبيبين. ولن يكونا كذلك أبداً.

ومع ذلك لا تزال فكرة خروجها الليلة مع شخص آخر تقلب أحشاءه. ملّس ربطة عنقه ومشى نحو الباب، وبعد برهة قصيرة فتحت له.

حدق فيها قائلاً: «رائع!».

سألت وهي تستدير بغنج والفستان يرفرف حول جسمها قائلة: «هل أحببته؟ وجدته في المتجر الذي نصحتني به لين».

- ينبغي ألا تذهبي إلى أي متجر آخر إذاً.

ابتسمت فشعر وكأن أحدهم وجّه ضربة إلى معدته. راقبها وهي تمشي نحو الطاولة في البهو لتحمل حقيبة يدها وابتلع ريقه بصعوبة. خطر له أنها بدت جميلة بالسروال والقميص... لكن الفستان قصة أخرى تماماً. أصابته رعشة ولكنه أجبر نفسه على التماسك.

تذكر ماذا يحمل في جيبه فتقدم منها وهو يسحب علبة مخملية ويقول: «كدت أنسى أنك قد تودّين وضع هذا».

- أهو لي؟

نظرت إليه بتينك العينين السوداوين المزينتين بماكياج يبرز جمالهما، وكل ما استطاع فعله هو هز رأسه.

رأى يديها ترتجفان وهي تفتحها وتمنى فجأة لو أنّ الهدية أغلى ثمناً. وعندما لم تبدِ أيّ ردّ فعل، قال: «أكدت لي لين أنه يتناسب مع الفستان».

سألته برقة وهي تتحسسّ السلسلة الرفيعة بأصابعها: «وهل لين من اختارها لي؟»

- بل أنا من اخترتها. ظننت أنها تلائمك لكني أخذت رأي لين.

نظرت إليه بعينين لامعتين وقالت: «لم يكن عليك إنفاق كل هذا المبلغ. فالأصدقاء لا يتبادلون الهدايا الثمينة».

قطب حاجبيه يقول: «لم ترَ لين في الأمر مشكلة».

- وهل اشتريت لها عقداً أيضاً؟

- حسناً، لا، بل...

لم يعرف ما يقول فقد كان مشوشاً. هل أخطأ في شيء ما؟ لقد رغب فعلاً في شراء شيء جميل لها وأراد أن يرى هذه القطعة الجميلة عليها.

أشار لوك إلى العقد قائلاً: «هل ستضعينه؟»

أخذته من العلبة وردت: «بالطبع».

- هل أساعدك؟

أومأت برأسها وهي تعطيه إياه.

وقف وراءها فملأ أنفه عطرها المميز. لم يكن هذا هو العطر الذي تضعه عادة. وبعد أن انتهى نظر إلى صورتها في المرآة فيما لمست هي خيوط العقد المتدلي من عنقها. كان ناعماً لكنه مذهل مثلها تماماً.

قالت: «إنه جميل».

- كذلك أنت.

رفعت ناظريها والتقت عيونهما في المرآة فشعر أن قلبه ينتفض في صدره وكأنه كان متوقفاً وأعادته صدمة ما إلى الحياة.

همست: «شكراً لك».

تنحنح قائلاً: «من دواعي سروري».

www.elromancia.com

وقد عنى ذلك إذ سرّه ذلك فعلاً. وطبع قبلة خفيفة على جبهتها، ثم ابتعد عنها قبل أن تسوّل له نفسه فعل المزيد.

عند الوصول إلى مقصدهما تأبط لوك ذراع ديللا قبل الدخول من الباب وهو يقول: «علينا فعل ذلك كما يجب، أتذكرين؟».

توقع الكثير من نظرات الإعجاب من الحضور فقرّبها منه أكثر، وشعر بالفخر وهي تتأبط ذراعه. ذاك الجمال كله في هذا الحجم الصغير.

- يجب أن أقول إنك تبدين رائعة بل مغرية أيتها الرئيس.

رفع لوك حاجبيه مستغرباً كلام الرجل النحيف المتصنع. وعرفتهما ديللا ببعضهما البعض فصافح لوك مساعدها بسرعة، مقاوماً رغبة اجتاحته في تلقين الرجل درساً في حسن التصرف.

وعندما ابتعد عنهما المساعد سألها: «أخبريني إلام يهدف هذا الاحتفال؟»

- آسفة كان عليَّ إخبارك. تحاول الشركة إظهار حسن الضيافة للعملاء تقديراً لتعاونهم مع شركتنا. أنت تعرف كيف هي الأمور. يحب مديري مارفين إنفاق أمواله على حفلات العشاء هذه، وقد أصبح هذا حدثاً مميزاً.

- مسكين مايكل. يا لسوء حظه!

رمقته بنظرة شبه غاضبة وقالت: «لندع مايكل وشأنه. أودّ أن ألقي نظرة على ترتيبنا حول الطاولات. لم أحظ بفرصة الإطلاع عليها في المكتب. يجب أن يهتم كل شخص من الهيئة الإدارية بواحد أو اثنين من العملاء».

قال بتقطيبة: «أشعر بصداع قادم على الطريق».

نظرت إليه بحدّة قائلة: «لم تعانِ يوماً من الصداع.. إسمع...».

وجرّته إلى زاوية حيث لا يسمعها أحد وسألته: «لن تثير نقاشاً مع أحد الليلة، أليس كذلك؟».

سألها بتعجب: «أتقصدين معك أنت؟ لن أفعل، لن يكون حاداً على

أي حال».

- ليس معي بل مع العملاء. عدني فقط بألا تفعل أرجوك.

كيف يمكن له أن يردّ طلبها وهي تعض على شفتها السفلى بهذا الشكل؟.

- لوك؟

أجابها: «أعدك. أنوي أن أكون رفيقاً رائعاً».

رافقها إلى المدخل المؤدي نحو القاعة الرئيسية، وبينما كانت تطلع على الأمكنة المخصصة للضيوف تناول كوبي عصير من النادل. وأجال نظره في القاعة الممتلئة. رأى نساء يرتدين أثواباً مغرية رائعة لكنه لم يهتم، فإلى جانبه أجمل امرأة في القاعة. لماذا تلفته النساء الأخريات؟

ما الذي يفكّر فيه؟ فهو لا يهتم للأخريات لأنه مرّ لتوه بزواج فاشل، وليس من أجل ديللا.

تمتمت ديللا كلاماً غير مفهوم فسألها: «هل من مشكلة؟»

هزت ديللا كتفيها وردت: «يلزمني مارفين بالجلوس إلى جانب طوم درمونت. لكني بصراحة قد رأيت منه ما يكفي في الأسابيع الماضية».

- حقاً!

- لا بأس بزوجته ومدير الانتاج لديه سيجلس إلى طاولتنا فهو شاب رائع. كما أن هناك ميلاني وهي مديرة العلاقات العامة.

- هل من أحد آخر؟

- أجل هناك ستيفانو، مدير المبيعات.

- وهل سيروق لنا؟

أجابت ديللا: «إنه يروقني أما أنت فعليك أن تقرر بنفسك».

ولامست ذراعه وهي تضيف: «يبدو أن الجميع متوجّه لتناول العشاء».

وفقاً لترتيب بطاقات الجلوس حول الطاولة كان يفترض أن يجلس كل رجل وإلى جانبه سيّدة. لكن طوم وجد أن لوك قد يكون رفيقاً مسلياً

www.elromancia.com

للسهرة فأمر زوجته بتبادل الأمكنة. وهكذا احتكر طوم لوك طوال الوقت وبالكاد تسنى لها لحظة للتحدث إليه.

لا يفترض بها أن تشعر بالغيرة، بل عليها أن تكون ممتنة لإعفائها من مهمة تسلية طوم. وتولت مهمة التحدث إلى دان بارلو الجالس إلى يمينها.

صرخ طوم: «أعني أن ثمة سبب لذلك»..

امتعضت ديللا لصوت طوم الذي علا صوت الموسيقى.

لكنه أكمل قائلة: «أنت لا تذهب إلى المدافن بحثاً عن أحياء، أليس كذلك؟»

رمقت ديللا غايل درمونت زوجة طوم بنظرة فوجدت المرأة المسكينة تشد زوجها من كمّه في محاولة للفت انتباهه.

لكنه سألها بلهجة غاضبة: «ما خطبك؟ ألا تجدين شخصاً آخر تزعجينه؟»

شعرت ديللا بالشفقة على غايل التي احمرّت خجلاً لتصرّف زوجها.

وعاد طوم يتحدث إلى لوك: «حسناً، ماذا كنت أقول؟ آه، أجل، والمرء لا يشتري منزلاً بالقرب من المنطقة الصناعية إذا أراد تنشق هواءٍ نظيف».

ينبغي على ديللا أن تفعل شيئاً، فأنظار الضيوف تحوّلت نحو طوم وزوجته. بحثت عن موضوع تغير به مجرى الحديث، لكن طوم أكمل حديثه قائلاً: «آمل أن يصابوا جميعاً بمرض يسكنهم لفترة».

ها قد وجدت البديل. فقالت فجأة: «لوك، آسفة على مقاطعتكما لكن تلك أغنيتي المفضلة».

أجابها وهو يشيح بنظره عن طوم: «أعرف ذلك، وكنت على وشك أن أطلب منك أن ترقصي معي».

أجابت: «سأحب ذلك».

ونظرت من حولها مضيفة: «ماذا عن البقية؟ هيا يا شباب يجب أن يكون ضيوف هذه الطاولة آخر من يعود للجلوس».

قادها لوك إلى وسط باحة الرقص، فقالت وهو يديرها بين ذراعيه: «آسفة. لم أستطع أن أفكر في حل آخر. كنت محبطة».

- شكراً لك.

قالت وهو يعتصر خصرها قليلاً: «أنت تفهم ماذا أعني».

- حسناً، كنت أتطلع إلى هذه اللحظة طوال السهرة.

- حقاً؟

حاولت ألا تلاحظ مدى اقتراب جسديهما وأضافت: «أفترض أنك لم تحظ بكثير من المناسبات لتراقص إحداهن في السنوات الأخيرة».

رفع عينيه نحو السقف مجيباً: «أجل، هذا هو السبب».

وبعد بضع دقائق ربتت غايل ردمونت على كتفها فتوقفا عن الرقص فيما شرحت لها غايل أنها أقنعت طوم بالرحيل.

شكرتها ديللا وراقبتها وهي تغادر. هذا حسن، فلو استمر طوم في التحدث بفظاظة كما فعل فستضطر لإسكاته بتوجيه لكمة إلى فمه، وهذا ليس من شيم من هو في منصبها. لكن تصرفاته تثير الجنون.

قال لوك عندما رحلت غايل: «نشكر الله على نعمه الصغيرة. بات بإمكاننا الآن الاسترخاء لبقية السهرة».

همهمت وكأنها توافقه الرأي لكنها لم تكن متأكدة من ذلك. كيف تشعر بالاسترخاء وهو قريب منها إلى هذا الحد يراقص كل وتر من أعصابها؟

مسكينة لأنها اختارت أغنية رومنسية هادئة وادعت أنها المفضلة لديها في تلك اللحظة الحرجة. لقد اختار طوم توقيتاً سيئاً. بدا لها أن يدي لوك تداعبان ظهرها مع أنهما لم تتحركا أبداً.

لابد أنها أصيبت بالجنون، فهي تتعرض لكثير من الضغوطات ولا تنام سوى قليلاً. ومع ذلك شكرت الله على عدم اختيارها الثوب الآخر المفتوح.

همس لوك في أذنها: «إلى متى علينا البقاء هكذا؟»

www.elromancia.com

بدأت بالابتعاد عنه وهي تقول بشيء من الخيبة: «يمكننا الذهاب الآن إذا شئت».

أوقفها بحركة حاسمة قائلاً: «كلا، ليس بعد فهذا جميل جداً».

وضعت يديها مجدداً على كتفيه متنهدة. إنه محق تماماً. قال لها: «لكنني أفضل ألاّ نعود إلى الطاولة لأرى نظرات دان بارلو التي تحوم حولك».

استرقت النظر إلى حيث كان دان وجينا يرقصان بانسجام تام وسألته: «ماذا تقول؟ إنه لا يفعل فلديه جينا».

ضحك لوك بخفة قائلاً: «صدقيني. فالرجل يعرف إن كان الرجل الآخر معجباً أم لا. وأؤكد لك أن دان معجب كثيراً بك».

حدقت في ربطة عنقه: «أنت مخطئ وما من أحد معجب بي هنا».

وقرّبها منه يقول: «أنت لا تعرفين كم تبدين مذهلة».

بدا صوته مخنوقاً. وتوقفت الموسيقى فجأة فوقفت ديللا من دون حراك، وقد تسارع الدم في عروقها وتجمّع على خديها باعثاً فيهما الحرارة.

همست كلماتها وهي تنسحب من بين ذراعي لوك متوجهة نحو طاولتهما: «لنذهب».

ودّعا الجميع وتوجهت نحو الباب، فتبع خطواتها. كان قريباً جداً منها وقد علمت ذلك من دون أن تنظر إلى الوراء.

لم يحاول لوك لمسها وهما يخرجان. لم تكن رؤوس أصابعه تلامس ظهرها وترشد خطواتها أو تمسك بمرفقها ما ناسبها كثيراً. فما زال جسمها يحسّ بذراعيه تحيطان به ويتذكر أنه لم يكن يوماً قريباً منه إلى هذا الحد.

عندما خرجا من المصعد سبقها ليفتح لها الباب. وفيما هي ترفع أطراف فستانها لتصعد إلى السيارة لمس أحد كتفيها فشعرت بتيار كهربائي يسري في عروقها للمسته غير المتوقعة.

قال: «أنت حقاً جميلة، لا تنسي ذلك أبداً».

رفعت نظرها إليه فابتسم لها وعاد قلبها يخفق بقوة والدم يتدفق في شرايينها.

هل يرى أنها جميلة؟ هو الذي لطالما أغاظها ورآها في أسوأ حالاتها يعتقد أنها جميلة؟

حاولت فتح فمها لتتكلم لكن الكلام المفيد اختفى فجأة. وكل ما استطاعت تمتمته قبل الصعود إلى السيارة: «حسناً».

حسناً؟ أهذا كل ما استطاعت أن تتفوه به؟

أمر مثير للشفقة! رفعت ديللا طرف فستانها ليتمكن لوك من إغلاق الباب. وأسندت رأسها إلى ظهر مقعد السيارة لتلفها رائحة الجلد الجديد. أخذت نفساً عميقاً. لكن لمَ قال ذلك؟ هل ظن أنها بحاجة لدفع معنوي؟ أم أنه ينظر إليها بشكل مختلف؟

وضعت يديها في حضنها ولاحظت أنهما ترتجفان فدستهما تحت فخذيها. لم يسبق أن ارتجفت يداها أبداً. أليست هي الخبيرة بحل الأزمات؟ أين ذهب تماسكها؟

أخرج السيارة من المرآب من دون أن يتفوه بكلمة. قطعا مسافة ميل كامل وتوجها نحو الساحل من دون أن يتفوه أحدهما بكلمة واحدة. بعدئذ نظر لوك إليها وسألها: «هل أنت بخير يا صغيرة؟»

رفعت رأسها وأومأت ثم أبعدت ناظريها وحدّقت في أضواء الضواحي المتلألئة.

أنت حقاً جميلة.

هل بات ينظر إليها من زاوية مختلفة؟ وإن صح ذلك فماذا سيحل بصداقتهما. لا يمكن أن تسمح له بإفسادها، ليس بعد أن أخفت مشاعرها طوال تلك السنوات.

لم يتجاوز أزمة طلاقه طبعاً. إن كان ينظر إليها كامرأة وليس كصديقة، فهذا حتماً ردّ فعل على شعوره بالخسارة. إنها علاقة بديلة، ولا يمكنها ببساطة أن تسمح بحدوث ذلك.

عندما توقفت السيارة، وقبل أن يتمكن لوك من سحب المفاتيح خرجت ديلا وتوجهت مسرعة نحو باب منزلها بقدر ما تسمح فتحة فستانها. ناداها لوك من السيارة: «ديللا، انتظري».

دست يدها داخل الحقيبة تبحث عن مفاتيحها.

- لماذا أنت مستعجلة؟

رفعت نظرها لترى لوك بقامته الفارعة عند عتبة الباب فأجابت: «لست مستعجلة».

وعلى الرغم من نبرته العادية رأت عينيه تلتمعان في الظلام.

شعرت بارتعاشة تسري في جسمها. وقال: «ظننت أنك..».

- ظننت أنني...

واقترب منها أكثر مضيفاً: «قد أفعل هذا».

طبع قبلة خفيفة على وجنتها.

خرجت من حنجرتها تنهيدة خفيفة، وقالت منزعجة من ضعف صوتها الذي أرادته أن يعبر عن رفض حاسم: «لا تفعل».

- ولمَ لا؟

- لأن الأصدقاء الحقيقيين لا يفعلون ذلك.

- وهل يفعلون ذلك؟

وأمسك بكتفيها، ضاماً إياها إلى صدره بقوة.

- حسناً.. لا..

كان عليها أن توقفه... يجب ألا تدعه يكمل.

ورغماً عنها أغمضت عينيها وأرجعت رأسها إلى الخلف.

ضمّها إليه بقوة مطوّقاً إياها بذراعين حنونين دافئتين فشعرت بأنها تذوب بين يديه.

ابتعد عنها قليلاً وقال: «رغبت في ضمك إلى قلبي منذ رأيتك في هذا الثوب كحورية فاتنة».

خطر لها أن ما يشعر به لا يقارن بأحاسيسها. فقد أرادت ضمه منذ

كانت في الرابعة عشرة، ويبدو أنه بفعلته هذه فتح باب غرفة حبست فيها أشواقها طويلاً.

رفعت نظرها إلى وجهه فوجدت أن تعابيره تغيّرت من الرضا عن النفس إلى عدم الثقة.

سألته وقد اتسعت عيناها: «ما بك، ما الأمر؟».

بدا وكأنها لم تستعمل أوتارها الصوتية منذ أشهر.

حدق في وجهها فرأته يبتلع ريقه بصعوبة.

وتراجع خطوة إلى الوراء قائلاً: «أنت بغاية الروعة وصديقتي المفضلة. أظن أنه يجدر بي الرحيل».

صفع هواء البحر البارد وجهها ونزل إلى كتفيها فارتعشت. قال بلهجة قلقة: «يجب أن تدخلي».

أومأت برأسها ومدّت يدها إلى قبضة الباب، ثم تردّدت بالدخول وسألته: «هل كل شيء بخير؟»

دسّ يديه في جيبيه قائلاً: «بخير... وأنت؟»

أومأت لكن الخيبة كانت قد صعقتها. فابتلعت ريقها بصعوبة ودخلت ثم استدارت نحوه تسأله: «هل ستتصل أو تفعل شيئاً؟».

هز رأسه وقال: «طبعاً، نامي جيداً ولا تجهدي نفسك».

راقبته وهو يصعد إلى السيارة ولم تغلق الباب إلا بعد أن انطلق فأسندت نفسها إلى الباب متسائلة عما إذا دمّرت شيئاً ثميناً.

www.elromancia.com

٦ . ودفعت الثمن

راقبت ديللا من سريرها الأمواج المتلاطمة تتلألأ تحت أشعة شمس الصباح. لقد تأخرت في النوم لكن العمل بدا فجأة وكأنه ليس أولوية. وفيما هي مستلقية في السرير تنظر إلى البحر عادت ذكرى ليلة السبت الماضي تملأ مخيّلتها.

كان هذا أقوى منها. لو دفعت لوك بعيداً عنها وأخبرته بألا يقدم على عمل أحمق، لما حدث ما حدث.

لو لم تظهر له رغبتها في تغيير شروط علاقتهما لما أصرّ. لكنها ضعفت في اللحظة الحساسة وبدلاً من حماية صداقتهما أظهرت له مدى اشتياقها ولهفة المشاعر التي حملتها له طيلة فترة معرفتها به.

لو لم يوقف هو تطور الأحداث، فهل كانت لتفعل؟

لكنه أنهى العناق الذي عكس رأيه بها. إنها مناسبة لتمضية الوقت معها والتحدث إليها، وهي تنفع كصديقة لكنها لن تنفع لأيّ علاقة جدية.

لابد أنه شعر بانجذاب شديد نحوها وإلا لما غمرها بهذه اللهفة. لكن مشاعره ليست ثابتة بل نزوة عابرة. كانت تتمنى فقط لو لم يدرك مدى قوة مشاعرها. ونهضت من السرير بتنهيدة عميقة. حان الوقت لارتداء ملابس العمل.

وبعد وقت قصير دخلت ديللا إلى بهو الشركة. استدارت نحو بوني لتلقي عليها تحية الصباح وحين رأتها متجهمة، سارعت تسألها: «أين كنت؟»

ردّت عليها ديللا بعد أن تحققت مرتين من ساعتها: «لماذا؟ هل يبحث أحدهم عني؟ لم أتأخر سوى بضع دقائق».

سألت بوني بلهجة غير مصدقة: «هل يبحث عنك أحد؟».

وهزت رأسها مضيفة: «أعلم أنهم يقولون عنك إنك هادئة في وقت الأزمة لكن هذا كثير».

- وماذا حدث؟

رمشت بوني بعينيها مستغربة، «لاتقولي لي إنك لا تعرفين».

حاولت أن تخفي الحنق من صوتها وهي تقول: «اسمعي، تأكدي أني لا أعلم عمّا تتحدثين. والآن قولي لي هل يبحث أحدهم عني؟»

تصلبت بوني وهي تجيب: «أجل ولو كنت مكانك لتحرّكت فوراً. فالمدير يود رؤيتك».

- شكراً.

لم تقصد ديللا أن تكون إجابتها مقتضبة إلى هذا الحد لكن مزاجها لا يسمح لها بالمزاح. اجتازت الممر ودخلت إلى أمان مكتبها. سوف تضع حقيبة الملفات وتشرب القهوة وهي في طريقها إلى مكتب مارفن.

تناولت ورقة بيضاء وقلماً من الدرج الأخير وأملت ألاّ يكون ما ينتظرها أزمة أخرى. أملت أن يقتصر الأمر على تهنئة مارفن لها على أدائها نهار السبت. رن هاتف المكتب الداخلي ورأت رقم مكتب مارفن يظهر على الشاشة فكبست الزر وقالت بنبرتها المعتادة: «صباح الخير مارفن، كيف حالك؟»

سادت لحظة صمت وأخبرها حدسها أن تحيتها الصباحية لم تترك الأثر المطلوب.

أجاب مارفن بصوت أكثر خشونة من المعتاد: «ها قد وصلت».

- هل أردت رؤيتي؟

- في مكتبي.

- طبعاً.

www.elromancia.com

مدّت يدها لتنهي المكالمة لكنها سمعته يزعق وكأنها لم تفهم ما قاله لها: «والآن».

- بالطبع، أنا قادمة.

سيطر الخوف على ديللا وهي تتخلى عن فكرة شرب القهوة ثم خرجت مسرعة من مكتبها. مهما كان ما يريده، فلا بد أن الأمر سيء. استرقت النظر إلى مكتب جايسون فوجدته فارغاً لكن جهاز الكومبيوتر كان مضاء لذا لا بد أنه وصل باكراً هذا الصباح.

لم تر أثراً لجايسون لكنها رأت أحد المستشارين الكبار في الشركة، وهو منافسها الرئيسي على منصب الشريك. وعندما رفعت يدها تحييه أدار وجهه وانصرف. فأسقطت يدها إلى جانبها واستدارت على عقبيها ثم أكملت طريقها.

هل حصل مارفن على معلومات أولية بشأن الشراكة؟ هل حصل عليها؟ هل أثار تعيينها غضب أحدهم؟

طرقت الباب ودخلت إلى مكتب مارفن ثم رفعت حاجبيها مستغربة لرؤية جايسون على احد الكرسيين قبالة طاولة مارفن.

قالت: «أنت هنا. كنت أبحث عنك».

نظر جايسون نحوها لكنه لم يسمح لنظراتهما أن تلتقي. نظرت بحيرة إلى المدير الذي كان يمرّر إصبعه في طوق قميصه دون أن يخفف ذلك من احمرار وجهه الغاضب. لا بد أن مصيبة ما قد وقعت. جلست على الكرسي وقالت بنبرة جادة: «ما الأمر مارفن؟ أعتقد أننا نواجه مشكلة كبرى».

حدّق مارفن فيها قائلاً: «إما أنك ممثلة رائعة وإما أنك لم تقرأي صحف هذا الصباح».

تذكرت الصحيفة التي لا تزال مكانها على الطاولة حيث تركتها وقالت: «لم أقرأها. عادة هذا أول شيء أفعله صباحاً لكنني تأخرت اليوم فلم أفعل. ما الذي فاتني؟»

تردّد قبل أن يسلّمها الصحيفة الصباحية حيث احتل العنوان التالي نصف الصفحة الأولى:

«ازدراء درمونت: السكان غير مهمين».

- يا الله.

طالعت المقال بسرعة، تقرأ التعليق وراء التعليق المنسوب إلى طوم درمونت، ورأت صورة طفل مصاب بطفح جلدي رهيب.

قالت: «أنا لا أفهم. كيف وصلوا إلى كل تلك المعلومات والصور؟».

قلبت الصفحة لتجد المزيد من الصور إضافة إلى مجموعة كاملة من الأخبار. لم يكن المضمون سطحياً.

- بالطبع، لن يدلي طوم بتلك المعلومات كلها؟ لماذا يتحدث أصلاً إلى الاعلام من دون إطلاعنا على الأمر؟

- لقد فعل. أو بالأحرى أنت من رتب اللقاء.

نظرت إليه مذهولة وقالت: «أستميحك عذراً؟ لم أفعل شيئاً من هذا القبيل. ولماذا أفعل هذا؟»

نظر مارفن إلى جايسون. واستدارت ديللا بدورها نحو مساعدها تسأله: «وأنت؟ هل أنت من فعل هذا؟»

أجاب جايسون وهو يتمسك بكرسيه: «كلا!».

قال مارفن: «جايسون ببساطة أخبرني بالأمر».

نظر جايسون إلى الصحيفة في حضنها وقال: «انظري إلى اسم كاتب المقال».

أغلقت الصحيفة وراحت تبحث عن الاسم.

وضاقت حنجرتها عندما وجدته.

لوك برايفورد!

بعد لحظة طويلة من الصمت رفعت ديللا ناظريها لتلتقي نظرات مارفن الغاضبة. ضرب على الطاولة براحتي كفيه فجاهدت لتحافظ على

www.elromancia.com

- هل أنت من اصطحب لوك برايفورد ليلة السبت وسمح له بالجلوس بجانب طوم درمونت؟ أم لا.

أجابت بهدوء: «لقد فعلت ولكن...».

- بربك ديللا! يقول جايسون إنك سمحت له بالتحدث طوال السهرة إلى درمونت من دون أن تعرفي مضمون أسئلته.

حوّلت نظرها بسرعة إلى جايسون لكنها علمت أن الانزعاج الذي تشعر به ليس سوى نقطة في بحر شعورها بالغضب من لوك.

- لقد تحدّث إليه فعلاً لكن ليس بقصد إجراء مقابلة صحفية.

لم تكمل كلامها فالحديث معه من دون جدوى. كيف وثقت بلوك؟ لعله تخلّى عن مهنته كصحفي، لكنه لا يزال كذلك في داخله. رفعت ذقنها وانتظرت أن يتكلم مارفن فقال: «اسمعي، لقد تحدّث إليّ طوم درمونت هاتفياً. وطلب صرفك من العمل».

لم تبد أي ردّ فعل على كلام مارفن لكن قبضتها اشتدت على الصحيفة بين يديها ونظرت إليه ببرود.

أكمل حديثه قائلاً: «يدّعي أنك غير كفوءة إطلاقاً وعلي أن أوافقه الرأي».

لم تكن تستحق أن تخسر وظيفتها بعد كل العناء الذي تكبدته والأزمات التي عالجتها بنجاح قلّ نظيره. لا يمكن لهذا أن يحدث لها. وتنهد مارفن قائلاً: «تعرفين أن علي صرفك. أنا آسف جداً ديللا. فقد كنت مكسباً كبيراً لهذه الشركة».

يقول إنه آسف. لكن ماذا عنها هي، بعد كل تلك الجهود التي بذلتها من أجل التقدم في وظيفتها؟

فجأة استقامت في وقفتها وسمعته يقول: «لاخيار لديّ. وضّبي أغراض مكتبك واخليه».

ونظر إلى ساعته وأضاف: «في غضون نصف ساعة. لقد انتهى عملك

مع هذه الشركة. وقرار الصرف سيأخذ مفعوله حالاً».

ابتلعت ديلا ريقها بصعوبة قالت: «لكن ألا تظن أنك تتسرع قليلاً؟ أستطيع...».

رفع يده في وجهها: «لا تزيدي الأمر صعوبة على كلينا. لا يمكننا التخلي عن عقدنا مع طوم درمونت سيما الآن. ماذا سيكون موقفنا إن تخلينا عن أكبر عملائنا لصالح أحد موظفينا؟ لن أفعل شيئاً يعرّض تعاملنا معه للخطر، وهو يصر على أن ترحلي ولن يرضى بأقل من ذلك».

وفتح الملف أمامه على الطاولة قبل أن يضيف: «أمامي الكثير من العمل لأصلح ما خربته».

رمت بالصحيفة على الطاولة ووقفت تسوّي تنورتها وتقول: «كنت أتوقع دعماً أكبر منك مارفن نظراً لكل مافعلته».

في عالم الأعمال، لم يكن يوماً قطع العلاقات فكرة جيدة. فقد تلتقي مارفن أو جايسون في ظروف مختلفة! واستدارت وخرجت من المكتب رافعة رأسها بكل ما أوتيت من كرامة.

عزمت على التماسك وعملت على توضيب أغراضها الخاصة في صندوق صغير. لم ينطق أحد بكلمة أثناء مرورها بين المكاتب وهي تحمل صندوقها، وسرّها ذلك. أومأت باختصار لبوني وهي تغادر البهو مجبرة نفسها على ألا تركض نحو الباب. عندما وصلت إلى سيارتها وأقفلت الأبواب سمحت لنفسها بأن تفكر في ما حصل.

الآن عرفت قيمتها بالنسبة للشركة. أموال درمونت علت فوق صوت مساهماتها كلها.. وكل تلك الساعات والجهود، ضاعت سدى.

أما بالنسبة للوك...

وطعنها الألم في صدرها. كيف أمكنه أن يفعل بها ذلك؟

لقد رافقها إلى العشاء بنية استنطاق طوم. لكن المنطق يشير أن لوك ما كان ليعلم أنه سيجلس بجانب طوم، إلا أنه استغل الوضع.

كان عليها أن تدرك أنه مهتم بشركة درمونت. فقد حضر المؤتمر

www.elromancia.com

الصحفي بعد يوم فقط من عودته إلى البلاد. لكنها أوهمت نفسها بأنه أتى من أجلها.

وبكل حماقة سلمته طوم على طبق من فضة فاستنطقه واستغله أحسن استغلال. وهذا لا يعني أنها تهتم لأمر طوم فقد استحق ما حصل له، سيما بعد مافعله اليوم. لكن ألم يفكر لوك بها؟ ألم يفكر في ما قد يحلّ بها؟ هل اعتقد أن قصته تستحق أن تخسر ديللا وظيفتها من أجلها؟

اغرورقت عيناها بالدموع، وضربت رأسها بالمقود أمامها. كيف أمكنها أن تكون بهذا الغباء؟

يُفترض أنه صديقها لكنه استغل منصبها ليستنطق أحد عملائها، وليتوّج سهرته الناجحة. تسمرّت في المقعد لبرهة تاركة للحقيقة أن تمتد في عروقها كالجليد، ثم استقامت ومسحت دموعها وأدارت المحرّك.

لم تشأ الذهاب إلى المنزل، ذاك الذي كانت تسدد ثمنه من وظيفة طردت منها. فتوجهت إلى منزل لين.

فتحت لها لين الباب وهي تحمل الصحيفة في يدها وفي عينيها نظرة تساؤل: «ماذا تفعلين هنا؟ لماذا لست في الشركة؟»

هزت ديللا رأسها بينما تنحت لين جانباً لتسمح لها بالدخول. وشعرت بثقل في رأسها فارتمت على الكنبة وسألت: «اين الولدين؟».

- جايمي في الحضانة وكايسي نائمة.

سألت لين وهي تجلس على الكرسي بالقرب من الكنبة: «ما المشكلة؟»

أشارت ديللا بيدها نحو الصحيفة قائلة: «هذه هي المشكلة. المقال الذي كتبه أخوك هو المشكلة».

قطبت لين وهي تنظر إلى الصفحة الأولى وقالت: «كنت أقرأها عندما قرعت الباب. كل ما قرأته حتى الآن جيد على ما يبدو».

أجابت ديللا بسخرية: «أنا واثقة من أنه كذلك فقد قام بعمله على أكمل وجه».

رفعت لين رأسها وقالت: «لكن»..

- لماذا؟ لماذا فعل ذلك؟

- أفترض أنه ظن أن من واجبه أن يفعل.

تنهدت ديللا بعمق وأسندت رأسها بيديها.

سألتها لين: «ديللا عزيزتي. لا بد أنه نهار سيء. قولي لي ما الخطب؟».

قالت ديللا: «فقدت وظيفتي».

شعرت بالدموع تحرق عينيها فلم تمنعها. وتابعت وهي توجه إصبعاً مرتجفاً نحو الصحيفة: «طردوني بسبب ذاك المقال».

- لا أصدق ذلك ديللا. لماذا عساهم يفعلون ذلك؟

- لأني اصطحبت لوك إلى العشاء وسمحت له بالتحدث إلى درمونت.

حدقت لين فيها وقالت: «حسناً، إنه أمر تافه. وكأنك قادرة على منعه؟ لا يمكنك التحكم بتصرفاته».

قبل أن تجيب: «كلا، لكن كان عليَّ أن أعرف. أستطيع أن أفهم مارفن. لا أحب ما فعله لكني أتفهمه».

- أما أنا فلا. كل تلك الساعات التي أمضيتها في العمل لصالح الشركة، وكل الوقت الذي عملت فيه بدلاً من أن ترتاحي. هذا خطأ ديللا. إنهم مخطئون تماماً في تحميلك الذنب.

بعد برهة، قالت ديللا: «لكني لا أفهم لوك. ولا أصدق أنه فعل ذلك».

قطبت لين: «فعل ماذا؟ حاول مساعدة أولئك الذين لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم؟».

فتحت ديللا فمها لتناقشها لكنها عدلت عن رأيها.

- أنا آسفة حقاً بشأن الوظيفة يا ديللا. لكنك تعرفينه تماماً كما أعرفه لتدرك أنه يعتبر أن من واجبه الوقوف بوجه الظلم. لم يكن ليتنحى جانباً ويتجاهل مثل هذا الإهمال السافر لصحة الناس العاديين.

وتوقفت لين عن الكلام لبرهة لكن ديللا ظلت صامتة.

- لتتكلم بصراحة، هل تريدين أن يتغير؟

هزت ديللا أحد كتفيها.

- حسناً. أنا أعلم أني أريده أن يبقى كما هو. لطالما كنت فخورة بأخي الكبير وطريقة دفاعه عما يؤمن به. لا يتمتع الكثيرون بالشجاعة ليحذوا حذوه.

- لا.

قالت ديللا وهي تتنهد بعمق وتابعت: «بالطبع لا أريده أن يتغيرّ، لكنه استغلني يا لين. استعملني للوصول إلى طوم درمونت ولم يأبه مطلقاً بعواقب ذلك علي».

- أولاً، لا أظن أنه استغلك. وأنا واثقة من أنه لم يذهب إلى العشاء بنيّة استنطاق طوم. ثانياً، لماذا قد يعتقد أن ذلك سيترك أثراً عليك؟

- كان يعلم أن طوم درمونت أحد عملائي.

- ماذا في ذلك؟ هذا لا يعني أنه كان سيعلم بأنهم سيطردونك لأن عميلك اختار التحدث إلى من يكتب قصته، بل لعله ظن أن عملكم سيزداد بسبب المقال. في النهاية يحتاج درمونت إلى مديرة علاقات عامة جيدّة أكثر من أي وقت مضى.

وقبل أن تتمكن ديللا من الإجابة رن جرس الباب. فتوجهت لين إلى النافذة وقالت: «إنه لوك، جيد فهكذا يمكنك أن تسأليه بنفسك».

هبت ديللا واقفة قائلة: «كلا، لا أريد رؤيته. لا أستطيع ذلك فأنا غاضبة».

- آه، ديللا..

- لا أستطيع التحدث إليه الآن. عليّ الرحيل. سأذهب من المرآب.

خرجت ديللا من الغرفة فرأت طيف لوك عند الباب الأمامي، ما زاد ضربات قلبها. في المرّة الأخيرة التي رأته فيها ضمته إليها، وها هي الآن تهرب منه. كانت مشوشة جداً لكنها لا تستطيع التوقف الآن لتنظيم أفكارها.

وبعد دقائق، وقف لوك أمام النافذة محدقاً في الشارع. بالكاد استطاع أن يصدّق ما قالته لين. لم يكن يتوقع مطلقاً أن تخسر ديللا وظيفتها بسببه.

هل كان ليكتب القصة لو علم؟

يصعب عليه التكهن. لعله كان ليفعل لكن بعد أن يناقش الموضوع مع ديللا.

أطلق تنهيدة فقد فات الأوان الآن، وحصل ما حصل. أمل فقط أن يكون درمونت قد تضرّر بما يكفي وذلك لمصلحة ديللا وبقية السكان المقيمين هنا. يستحق ما سيحل به لأنه طلب صرف ديللا.

لم يستطع لوك أن يمنع نفسه من الشعور بالسعادة لأن ديللا لم تعد مضطرة للعمل لصالح درمونت. فعلى الرغم من أنها لم تعترف بذلك، إلا أنها لن تكون سعيدة في وظيفة تضطر معها للمساومة على مبادئها. مع الوقت ستجد وظيفة أخرى وقد تشكره لأنه دفعها لإيجاد وظيفة أخرى.

لكنه تذكّر أنه لن يكون لديها مدخول الآن وبما ان الأمان المالي يعني لها الكثير فلن يلومها إذا غضبت منه.

كما أن بينهما ذلك العناق.

استدار عندما دخلت لين حاملة فنجاني قهوة فأخذ احدهما وشكرها ثم جلس.

لقد ترددت ديللا في الاقتراب منه لكنه ضمّها إليه. ولا يعني هذا أنه أجبرها بالقوة. لكنه اعترف لنفسه بأنه حتماً تجاهل ممانعتها الأولية.

لكنه لم يكن يتوقع ردّ فعلها. لقد أيقظت أحاسيسه كلها وأشعلت فيه ناراً لم يحس بها منذ إيفون. بل ليكون أكثر صدقاً مع نفسه لم يحسّ بها يوماً. فإيفون كانت مجرّد معرفة عابرة مغرية شدته غريزياً حين لم يكن يعرف اسمها حتى. لكن ديللا صديقته وليست مجرّد فتاة عابثة، ولم يكن يفكر فيها على أنها مجرّد امرأة مغرية. لكنها تجذبه بشدّة. سألته لين: «هل كنت غارقاً في التفكير؟».

www.elromancia.com

أجابها: «أجل، أعتذر».

- أتحاول أن تفكر في طريقة للتعويض على ديللا؟

- هل تظنين أنني قادر على ذلك؟

هزت لين كتفيها تجيب: «لا أملك اي فكرة، لكني أعلم أنه عليك المحاولة. فهي تستحق منك ذلك لوك».

- أتظنين أن ما فعلته خاطئ ليني؟

شربت لين القليل من القهوة وهزت برأسها، «كلا، وحتى ديللا في أعماقها تعلم أنك غير مخطئ. لكنها مجروحة. تعتقد أنك استغليتها وأنفهم وجهة نظرها».

اتسّعت عيناه. أتعتقد فعلاً أنه استغلها؟

- تشعر أنها تعرّضت للخيانة.

انقبض صدره وعلق لسانه في فمه. لم يشأ مطلقاً أن يؤذيها.

- كان عليك أن تسمعي لكلام درمونت ليني. لقد كان يتباهى بنفسه على ما يحققه من ارباح من ذاك المصنع.

رفعت لين اليد التي لا تحمل فيها الفنجان وقالت: «أصدقك لوك. لا حاجة لأن تشرح لي، فمن يحتاج ذلك هو ديللا. وأتمنى لك الحظ معها، لأنها في الوقت الراهن ليست بمزاج للاستماع إلى شروحاتك. في الواقع، أعتقد أن عليك أن تدعها وشأنها لبضعة أيام. اتركها تتخطى صدمة فقدانها وظيفتها».

أطلق لوك تنهيدة. إنها محقة! وسيمنحه ذلك الوقت كي يفكر بشيء ما ينم عن ندمه حيال ما حصل.

٧ - لن أخسرها

أمضت ديللا الأيام القليلة التالية تتصل بالمعارف وتتقدم للوظائف من دون أن يحالفها الحظ. وحظيت بأول مقابلة لها نهار الجمعة، لكن الأمور لم تجرِ بشكل جيد. ولم يفاجئها الأمر فالرجل المسؤول هو أحد أصدقاء مارفن.

قادت إلى المنزل بذهول. ماذا ينبغي لها أن تفعل؟ فالقسط التالي يستحق قريباً وقد سحبت من مدخراتها لتسدد قرض سيارتها. وعلى هذا الحال ستنتهي مدخراتها في وقت قريب، ولا يمكنها حالياً استخدام حسابها المجمّد.

أوقفت السيارة في الشارع خلف المنزل، على أن تركنها لاحقاً في المرآب وتوجهت إلى بوابة الحديقة الخلفية. وعندما وصلت إليها، جمدت مكانها فالبوابة مفتوحة قليلاً. وسمعت حركة في الحديقة فعضت شفتها وفتحت البوابة أكثر.

إنه لوك!

شهقت عندما رأته من دون قميص محاطاً بجميع أنواع العدّة، كما لاحظت العرق المتلألئ على جسمه ما يدل على أنه يستعمل عضلاته. مشت نحوه فرفع نظره إليها وابتسم لها.

- ها قد عثرت عليّ.

حدّقت فيه. من الصعب ألا تفعل وهو على هذا الحال بسرواله الجينز وعضلاته البارزة. أرادت أن تعرف ما الذي يفعله فرفعت نظرها إليه.

- عثرت عليك تفعل ماذا تحديداً؟

أشار إلى الأرض بجانبه قائلاً: «كنت أحرث الأرض. انتهيت من العمل في الجزء العلوي وها أنا هنا الآن. أردت أن أفاجئك وتمنيت أن تمضي نهارك كله في الخارج».

لقد سوى الأرض ونظّف السلم والجدران وزرع اللافندر المتدلي. أليس هذا ما وصفته حين طلب إليها أن تصف له الحديقة المثالية؟ نظرت من حولها ثم نظرت إليه مجدداً وسألته: «ما الذي يجري هنا؟»

نظر إلى شوكة الحراثة ثم اتكأ عليها وأجاب: «أردت أن أفعل ما يعبر عن اعتذاري لأنك خسرت وظيفتك. قلت إن الحديقة هي الأمر التالي على لائحة أولوياتك وأظنك دفعتها الآن إلى آخر اللائحة بسببي وبسبب ما فعلته».

تملّكتها مشاعر الحماس وطغت على أي شيء عداها. ستحصل أخيراً على حديقتها وستكون حديقة الأحلام لأنها تعرف لوك، فهو يسعى إلى الكمال.

رفع الشوكة من مكانها وغرزها في الأرض. وقال من دون أن ينظر إليها: «كان يجب للقصة أن تروى. وأتمنى أن يخسر درمونت رخصته بسببها. لكني أريدك أن تعلمي أنه لم يخطر لي أنك ستفقدين وظيفتك بسبب المقال بل اعتقدت أن النتيجة ستكون المزيد من الأعمال للشركة».

لم تره طوال الأسبوع وتسنى لها الوقت لتفكر في ردّ فعلها حيال ما حصل. وعلى الرغم من أنها لا تزال غاضبة من لوك لكتابته المقال، إلّا أنها تدرك أنه لا يتحمل مسؤولية فقدانها الوظيفة بالكامل.

تنهدت وقالت: «ستجري الحكومة تحقيقاً رسمياً».

لقد سمعت الأخبار في الراديو، لكنها مع كل مشاكلها بالكاد اهتمت للخبر. وأضافت: «اسمع، أعلم أن طوم أخرق كبير لكن وظائف العاملين مهددة الآن. فكل من يعمل لدى درمونت سيصبح عاطلاً عن العمل إذا قررت الحكومة إقفال المصنع».

قال لها: «هل ساءت الأمور إلى هذا الحد؟ لكن حياة الناس معرضة

للخطر وليس وظائفهم فقط. يفاجئني أنك ما زلت تدافعين عنه في حين أنك لست مضطرة لذلك. لو سمعت ما سمعته...».

- سمعت الشائعات والأكاذيب...

- كلا. اعترفي ببعض من مهاراتي يا ديللا. لقد تحدثت إلى موظفين سابقين وأشخاص تركوا الشركة لأنهم لم يتمكنوا من التغاضي عن الإهمال الحاصل هناك.

- لقد حصلت بعض التسرّبات..

- ليس البعض منها بل الكثير.

- لكنها كيماويات غير خطرة. التسرب الأخير كان استثناءً. فهي في العادة لا تسبب الحرائق.

- بل استحال إخفاء التسرب الأخير بسبب اندلاع النيران لكنه واحد في سلسلة تسرّبات سامة. إننا نتحدث هنا عن بعض أخطر أنواع المواد الكيميائية التي تؤدي إلى الموت وتسبب الأمراض والعاهات الخلقية.

ترددت ديللا في الإجابة إذ جعل الوضع يبدو فظيعاً. لكن طوم أكد لهم...

وقالت: «أنت تبالغ، لا بد أنك تفعل. فالتسربات السامة الوحيدة كانت بسيطة جداً بحيث لا يمكنها التسبب بأي أذى».

- هذا وفقاً لدرمونت أليس كذلك؟ ما يفعله جريمة فهو يقتصد في النفقات.

- ينبغي على كافة الشركات الكبرى الحدّ من النفقات.

- أنا مع الحدّ من النفقات. لكن حين يتعلق الأمر بالأمان يصبح الحدّ من النفقات خطيراً.

مسح جبينه بظهر يده فاشتمت رائحة عطره الممزوجة برائحة العرق الرجولية ولم تنزعج بل استقامت في وقفتها تطرد رعشة سرت في عمودها الفقري. كانت مشاعرها تتناقض تماماً مع منطق تفكيرها.

قالت له: «اسمع، إنه يوم حار جداً للوقوف هنا والتحدث. هل تود

www.elromancia.com

الدخول واحتساء عصير بارد؟».

ضحك لها وقال: «طبعاً».

استدار ليأخذ سترته من حيث تركها، فشعرت بالخيبة لأنه سيغطي هذه العضلات قريباً. وسبقته إلى المطبخ.

جلسا إلى الطاولة يشربان العصير. وعلى الرغم من أنه كان متسخاً إلا أنه لا يزال بنظرها الرجل الأكثر وسامة. أرجع كرسيه إلى الوراء ثم وضع يديه في جيبي سرواله وقال: «أراهن على أنك لم تقرأي القصة كاملة».

- كلا.

لم تستطع أن تفعل ذلك. في البدء كانت غاضبة جداً وبعد حين منعها الخوف من فتح الصحيفة وقراءتها، الخوف من الشعور بالخجل من نفسها.

- أتذكرين حديثنا اليوم عن مصنع بوبال؟

- أجل وماذا عن ذلك؟ أنت لا تقصد أن مصنع درمونت يشبه ذاك المصنع؟

رفع حاجبيه لكنه لم يقل شيئاً.

هزت رأسها غير مصدقة: «لا أصدق ذلك. ليس هنا».

- مما سمعته، أهمل درمونت معايير السلامة لفترة. فأجهزة منع تسرب الغاز إما معطلة وإما مغلقة وإما لا تتطابق مع المعايير المعمول بها. أمر طوم درمونت شخصياً بأن تغلق معدات التبريد المعدّة لتبريد خزانات المواد الكيميائية بحيث يتم تحويل الطاقة إلى مكان آخر من المصنع.

- ماذا عن المراقبة وأجهزة الصيانة؟

تردد قبل أن يقول: «لعل التحقيق الذي ستجريه الحكومة سيكون كافياً لاعتراف درمونت».

وأنهى العصير ثم أردف: «ثم إني لست هنا اليوم للتحدث عنه بل جئت لأقول إني آسف لأنك خسرت وظيفتك. آنا آسف حقاً».

- أعلم أنك كذلك.

- آمل أن تتأكدي كذلك من أني لم أستغلك، فأنا لم أفعل ذلك. أقسم بأني لم أذهب إلى العشاء بنيّة الحصول على معلومات من درمونت يا ديللا، لم أنوِ ذلك أبداً.

هزت رأسها: «أتفهم ذلك الآن. لابد أني كنت تحت تأثير الصدمة عندما تحدثت إلى لين. لم أكن أفكر بوضوح».

- أعترف بأني كنت مهتماً بما يحصل قبل الذهاب إلى العشاء لكني أؤكد لك أنه لم يخطر في بالي أن طوم درمونت سيجلس إلى طاولتنا. حتى عندئذ لم أستغل الوضع لكن طوم درمونت ظهر على حقيقته. أنا لم أسأله أي شيء. لم أكن بحاجة لذلك فقد أدلى بكل الاعترافات الواردة في الصحيفة.

- لكنه لم يكن يعلم أنه يتكلم إلى آلة تسجيل.

قام بحركة تدل على نفاد صبره وقال: «لا يتعلق الأمر بآلة تسجيل. ويجب ألّا يكون كذلك حين يتعلق الأمر بتعريض صحة الناس وحياتهم للخطر».

قالت ديللا بتنهيدة: «أعلم يا لوك أنك لم تتوقع ارتدادات فعلتك. دعنا نترك الأمور عند هذا الحد. إنها مشكلتي الآن وعلي معالجتها».

صمت للحظة ثم قال: «هل يساعد أن أتصل برئيسك وأشرح له أن لاعلاقة لك بالقصة كلها؟».

- طبعاً لا.

- ماذا لو عرضت أن أكتب قصة إيجابية عن أحد العملاء الآخرين؟

نظرت إليه وردت: «لن ينفع ذلك إلّا إذا كتبت واحدة عن طوم درمونت».

رأت الجواب في عينيه قبل أن تنهي كلامها فأردفت: «في الواقع لا أعتقد أن ذلك سيكون كافياً. لكن لا يهم فلن أعود إلى الشركة بأي حال».

سادت لحظات صمت قطعها لوك بقوله: «لكنك ستحصلين على وظيفة أخرى بسهولة، أليس كذلك؟».

- قطعاً لا.

وفركت جبينها وهي تضيف: «أديلايد مكان صغير. وأفضل ما يمكن أن أتمناه هو الحصول على وظيفة حرّة».

- آسف، أعلم كم كانت تعني لك تلك الوظيفة مع أنها لا تعكس حقيقة شخصيتك.

- ماذا تقصد؟ كنت أقوم بعمل جيد.

- أنا واثق من ذلك. لكنك كنت تعيشين حياة من التسويات والمساومات.

- لوك...

أصدرت صوتاً ينم عن حنق. وجدت من الصعب أن تناقش لوك. لعل والديها اعتبراه مجرّد ولد غني آخر مدلل لكنها كانت تعرفه بشكل أفضل بكثير. فلوك، وبالرغم من غناه، يدافع عن العدالة الاجتماعية ولديه رغبة حقيقية في إحداث فرق ما.

لقد فكرت في الأمر ملياً منذ نهار الإثنين وهي لا ترغب في أن يتغيّر كما قالت لها لين. فلو فعل لن يعود ذاك الرجل الذي وقعت في حبه والصديق الذي تثمّن صداقته. وإن أرادت أن تكون صادقة مع نفسها، لاعتذرت عن التعامل مع طوم درمونت وأمثاله لو لم تكن قلقة بشأن الحفاظ على مدخولها.

الدفاع عن طوم وتصويره على أنه رجل صالح يدمرها أحياناً. يمكنها الاعتراف الآن بأنها كانت تقوم بوظيفتها من دون أن تفكر ملياً بالأمر.

قال لها لوك: «لقد وضعت ثقتك في المكان الخطأ».

تنهدت. إنه يهدم شيئاً فشيئاً البناء الذي شيدته. لم ترغب في سماع المزيد، فهي لا تزال ضعيفة جداً. كانت تحتاج لتغيير الموضوع. أشارت بيدها نحو الحديقة البادية من النوافذ الفرنسية التصميم وقالت: «لم يكن

عليك فعل ذلك. لا بد أن شراء كل تلك المعدات كلّفك ثروة طائلة».

هز كتفيه قائلاً: «أستطيع شراءها. ستسمحين لي بإنهاء ما بدأت، أليس كذلك؟».

ابتسمت للمرّة الأولى منذ نهار السبت الماضي وردّت: «طبعاً، وأتوقع منك أن تقوم بعمل رائع».

لقد سامحته لكنه لم يكن بحاجة لأن يعرف إلى أي مدى.

- سأفعل.

كانت متأكدة من الطريقة التي ضاقت بها عيناه أنه يودّ أن يقول شيئاً آخر، أمر جعله متردداً غير واثق من نفسه. وانقبضت عضلات معدتها رعباً. هل سيأتي على ذكر العناق؟ لقد تمنت أن ينسياه. فهو غلطة وما كان ينبغي أن يحصل أصلاً.

قطب وسألها: «هل تمانعين إن اقترحت أمراً ما؟».

أجابت بقلق: «اقتراح من أي نوع؟».

- أعرف أين يمكنك ايجاد وظيفة بدوام حر.

عاد تنفسّها إلى وتيرته المعتادة، وانحنت فوق الطاولة تسأله بلهفة: «أين؟».

- إنها وظيفة بسيطة ولا يستطيعون دفع الكثير.

- حسناً، أنا مهتمة.

تنحنح وقال: «لا تصابي بالإحباط عندما أقول لك».

- كف عن الدوران حول الموضوع وتكلّم.

- إنها مجموعة السكان المعارضين، وهي مجموعة معارضة لمصنع درمونت، وقد سألوني إن كنت أعرف أحداً يساعدهم.

جمدت. كيف يمكن لها أن تعمل لصالح السكان؟ فمنذ بضعة أيام فقط كانت مع الطرف الآخر تقاوم جهودهم. كيف يمكنها أن تبدل موقفها؟

- يريدون عقد مؤتمر صحفي. أنت تعلمين ما يحتاجونه لهذا، كما يريدون طباعة منشورات لتوزيعها، فضلاً عن أمور أخرى، لكني لست

واثقاً من التفاصيل».

تردّدت وهي تسأل: «وهل يملكون المال الكافي لكل ذلك؟ أنا أتحدث هنا عن كلفة الإنتاج واللافتات والمطبوعات وسواها إضافة إلى الأجر الذي سيدفعونه لي».

هز رأسه.

- وعلى نفقتهم الخاصة؟.

عدل وضعية جلوسه وقال: «حصلت على بعض التبرعات لمساعدتهم على إنشاء صندوق لجمع الأموال».

رفع يده إلى فكه وفركه فأدركت في لحظة ما لم يقله. إنه يموّل المشروع. في النهاية، ستقبض لقاء عملها من مال لوك. قال لوك: «أؤكد لك أنك ستحبين المرأة المسؤولة عن المشروع، تدعى ماري هورتون وهي محاربة حقيقية شرسة».

هل كانت ترغب فعلاً في أن تحب ماري تلك؟ ماذا لو وجدت نفسها مجدداً في الجهة المعارضة؟

لكنها لا ترغب فعلاً في أن يعرف أحد أن لها علاقة بالأمر، لذا ستعمل من وراء الكواليس. ولا يعني هذا أنها تتمنى العودة للعمل في الشركة حتى لو طلب منها ذلك. لن تعمل لصالح طوم درمونت مجدداً تحت أي ظرف من الظروف بعد ما فعله بها، ومهما كان عرضه مغرياً.

- اسمعي، لا تتخذي قرارك الآن. اتصلي بماري أو اذهبي لمقابلتها، تحدثي إليها ثم قرري.

في الواقع لم تر ما يمنعها من قبول الوظيفة سوى شعورها بالذنب. لم تكن تملك معلومات عن درمونت تفيدهم بها، وبالتالي ليس لديها ما تقدمه سوى العمل بضمير. أومأت برأسها موافقة وأحضرت ورقة دونت عليها التفاصيل وقالت: «حسناً، سأتصل بها لاحقاً. لكن أولاً، سأغير ملابسي وأراك في الخارج».

رمقها لوك نظرة متسائلة، فأضافت: «لا تظن أنك ستحصل على كل

المتعة لوحدك، فهذه حديقتي أيضاً».

ابتسم لها: «لا بأس. يمكنك أن تبدئي بزرع النباتات».

باستثناء فرصة الغداء القصيرة، أمضيا طيلة النهار في العمل في الحديقة. ولم تحظ ديللا بكل هذا المرح منذ كانا ولدين.

قال لوك فيما هي تضع التربة عند آخر شجيرة: «الليل يخيم ويمنعنا من متابعة العمل».

نظرت باتجاه المنزل فرأت الممر المرتب وقالت: «يبدو رائعاً».

هز رأسه وقال: «سأعود بكامل نشاطي في الصباح الباكر غداً. سيتطلب شق الممر الثاني النهار بأكمله إضافة إلى الدرج».

ونظر من حوله إلى الأزهار وتابع قائلاً: «قد نحتاج ليومين».

أشاحت ديللا نظرها. فمجرد التفكير في تمضية يومين آخرين مع لوك جعلها تنظر إليه بطريقة محرجة. ينبغي عليها السيطرة على نفسها، والتصرف بنضج أكثر، لكن الأمر بدا أصعب من أي وقت مضى.

أيعود السبب إلى تخطيها مرحلة السذاجة التي كانت فيها عندما التقت لوك؟ فقد باتت تعرف الآن ما الذي تفتقده ومجرد التفكير في لوك كحبيب يذيبها.

رصت التراب للمرّة الأخيرة علّ احمرار وجنتيها يختفي ثم قالت وهي تقف: «لا بد أنك تتضور جوعاً، أعتقد أن لديّ بعض البيض في البراد. أستطيع أن أحضّر فطعتي عجّة».

هز رأسه قائلاً: «لن تقومي بالطهو الليلة فأنت متعبة».

عندئذ، أدركت مواضع الوجع في جسمها فوضعت يدها على ظهرها تقول: «شكراً لتذكيري بالأمر».

- يمكنني أن أطلب البيتزا. هل تمانعين إذا ما استعملت الحمام؟ لدي بعض الملابس النظيفة في السيارة.

أغمضت عينيها وفتحتهما بسرعة قبل أن تسأله: «ولماذا تضع ملابسك في السيارة؟ هل طردوك من الفندق؟».

www.elromancia.com

ابتسم لها بخجل وارتباك وأجاب: «كلا. في الواقع، أصرّت أمي على أن تغسل ثيابي. حاولت أن أرفض لكن...».

- حسناً فهمت. إذاً ستستحم أولاً بينما أرتب المكان. واطلب أنت البيتزا بينما أستحم أنا لأني أتوقع أن أستغرق وقتاً أطول.

- اتفقنا.

نظر لوك لاحقاً إلى صديقته القديمة التي تقوقعت في زاوية الكنبة ثانية تلتهم قطعة البيتزا الرابعة أم أنها الخامسة؟ أين تضع كل ذلك الطعام؟ وأدرك بحزن أنها لم تتناول الكثير من الطعام هذا الأسبوع. لقد رأى محتوى البراد. وبالكاد وجد ما يمكن أكله. لعلها كانت شديدة الانشغال طوال الأسبوع لتفكر في أمر تافه كالتسوق. كان ليعرض عليها المساعدة لكنه يشك في أن تسمح له بالقيام بشيء آخر سوى تنظيم الحديقة. لقد ذكره ذلك بسنوات صداقتهما الماضية حين كانت تأتي إلى منزلهم وهي تشعر بالجوع الشديد، لكن الفرق هذه المرّة هو أنه المذنب. تناول قضمة أخرى من البيتزا، فوجد أنها فقدت طعمها. لقد تركت ليالي الأرق هالات سوداء تحت عينيها، والذنب ذنبه أيضاً. لقد بذلت الكثير من الجهد للوصول إلى هذا المنصب في الشركة وكسبت ما كسبته بعرق جبينها ومجهودها الخاص. لكن هل كانت سعيدة ياترى؟ لم يكن يعتقد ذلك. في الواقع، بدا واضحاً أنها لا تحب التعامل مع أشخاص مثل طوم درمونت الذي تختلف قيمه ومبادئه عن مبادئها.

كان يعرف قيمها. قد تكون مدفوعة بطموح جارف ولدته طفولة محرومة لكن القيم لا تزال موجودة، محفورة عميقاً في كيانها. فعلى الرغم من اختلاف بيئتيهما، كانا يملكان الرؤى والميول ذاتها. كسرت ديللا الصمت تسأله: «ألست جائعاً؟».

حدق فيها فأشارت بإصبعها إلى قطعة البيتزا التي يحملها في يده وقالت: «أنت تحدق فيها منذ زمن. هل تريد أن تحفظها غيباً أم ستأكلها؟».

أفاق من شروده وعاد بأفكاره إلى اللحظة الراهنة قائلاً: «إني أستريح. لا أستطيع منافستك في السرعة في تناول الطعام».

- لا أعلم لما طلبت هذه الكمية كلها. هل تتوقع مجيء تعزيزات أخرى؟

هز كتفيه وأجاب: «كلا، بل إنها العادة. آمل أن تجدي مكاناً في الثلاجة للاحتفاظ بالكمية المتبقية».

سبق أن قرر ملء ثلاجتها الفارغة من دون أن يجرح كبرياءها. ليست البيتزا بالطعام المتوازن لكن إن لم تتسوق في الأيام القليلة المقبلة فسيكون لديها على الأقل البيتزا لتعيد تسخينها.

عادت تمضغ الطعام. لقد نجحا في تخطي الألم والغضب اللذين سببهما عن غير قصد عند كتابته القصة وكان ممتناً لذلك. بدا وكأنهما اتفقا ضمنياً على عدم ذكر عناق تلك الليلة. ودّ لو يخبرها أن العناق حرّك في داخله مشاعر لم يختبرها منذ زمن طويل، لا بل أبداً. لكنه لم يتمكن من قول ذلك، وخفق قلبه بشدة بين ضلوعه عندما أدرك أن عليه الاحتفاظ بمشاعره لنفسه. لن يتمكن من التفوه بكلمة وإلا خسرها.

أما بالنسبة للوظيفة، فلم يكن يرغب في أن تتخفى ديللا وراء شخصية مزيفة. وإذا استطاع مساعدتها من دون أن تعلم، ومن دون أن يجرح كبرياءها، فلن يتأخر.

سوف يبدأ بالتبرع لمنتجات ماري الدعائية، على أمل أن تجد ديللا طريقها في العثور على الوظيفة المناسبة.

كان لديه فكرة أخرى، لكنه بحاجة للتأكد من بعض التفاصيل قبل طرحها.

٨ - في القلب الآخر

أخذت ديللا موعداً نهار الاثنين لرؤية ماري هورتون، ونظرت إلى صحيفة اليوم ذاته من الأسبوع الماضي والتي لا تزال على الطاولة تماماً حيث تركتها. إذا أرادت العمل لمصلحة السكان الآن فيجدر بها فعلاً أن تقرأ قصة لوك.

لقد خفت صدمة فقدانها لوظيفتها وبات بإمكانها التفاعل مع أي عواطف تولّدها قراءة القصة في الصحيفة، كما أنها تدين بذلك للوك نفسه. لقد كان صديقها وهذه القصّة تعني له كثيراً. لم يقصد إيذاءها قط وقد صدّقته حين قال ذلك. ولم تتمكن من لومه لأنه لم يتوقع النتائج التي قد تؤدي إليها كتابة مثل تلك القصة.

حملت الصحيفة وهي تتنهد وتوجهت إلى المطبخ حيث حضّرت القهوة قبل أن تجلس إلى الطاولة وتبدأ قراءتها متجاهلة العنوان الصارخ.

وبعد بضع دقائق رفعت رأسها محدّقة في الأفق، شاردة، لكنها لم تر الحديقة المرتبة من خلال النوافذ الطويلة. كانت الدموع تنسكب على خدّيها، دموع الرضا والاكتفاء. كم كانت فخورة بلوك إذ أخبرها حدسها بأن كل حقيقة واردة في المقال موثّقة ومؤكدة بالأدلة والبراهين.

لقد عملت بجهد على قضية طوم درمونت ولصالحه فأظهرت الايجابيات كلها، وحوّلت انتباه الصحافة عن الحوادث التي جرت في المصنع. لكن من أجل ماذا؟ لأن تلك كانت وظيفتها. في الواقع، كان عليها عرض الحقائق على الرأي العام تماماً كما فعل لوك. وتساءلت للمرّة الأولى متى بدأت تكبت حقيقة مشاعرها، وتتخفى وراء قناع

يطمس حقيقتها. هل فقدت نزاهتها؟

فالنزاهة تعني عدم المساومة على ما تؤمن به. لقد لمّح لوك إلى هذا وهي تفهم الآن ما حاول قوله. لعلها تخلت عن نزاهتها لبرهة لكنها لا تزال متأصلة في أعماقها، ويمكنها أن تعثر عليها مجدداً.

ساورها شعور بالتحرر. وأدركت أنها كانت تعيش حالة من القلق جراء محاولتها انتحال شخصية مستعارة. والآن لم يعد عليها المحاولة ما أزاح عنها العبء مباشرة.

لم تعرف ما الذي يمكنها فعله بما اكتشفته حديثاً في داخلها، لكنها شعرت بأنها بدأت للتو رحلة ما. باتت تستطيع الذهاب إلى حيث تشاء، فالخيار هذه المرّة يعود لها وحدها.

لكن عليها أولاً زيارة منزل ماري هورتون.

للوهلة الأولى بدت ماري هورتون كالجدة العطوف. لكن بعد مرور فترة قصيرة عرفت ديللا أن الحقيقة مغايرة للظاهر.

يسهل اكتشاف سبب إعجاب لوك بها فكلاهما من الصنف ذاته.

ابتسمت ديللا عندما وضعت ماري إبريق الشاي على الطاولة المستديرة بعد أن نقلت مجموعة من الكتب إلى طاولة جانبية أخرى. أشارت ماري إلى خزانة الحائط المليئة بالملفات وقالت: «إنها مليئة بالتقارير حول الحوادث أو التسربات. ألقي نظرة عليها. الملف الموجود فوقها يحوي فهرساً بالمحتويات».

تفحصت ديللا الفهرس وهو عبارة عن مجموعة أوراق محشّوة بالكلمات المكتوبة بخط اليد. تمهلت عابسة وهي تقرأ عدداً من الأسطر التي تلّخص عدد التسريبات والحوادث الأخرى. لم تكن تعلم أن مثل هذا العدد من الحوادث قد حصل. سألتها وهي تدير لها ظهرها: «منذ متى تقيمين هنا؟».

- منذ أن بنيت تلك المساكن يا عزيزتي. في أوائل الستينات. حين كانت تلك المساحة خالية.

وأشارت ماري إلى النافذة التي نظرت ديللا من خلالها لترى مصنع درمونت الكيميائي أمامها مباشرة.

وأضافت ماري: «لا تسيئي فهمي فأنا لست ضد الصناعة. فهي تموّل معاشي التقاعدي كما أني استثمر في هذا القطاع».

توقفت عن الكلام لتسكب كوبين من الشاي ثم أردفت: «ما يزعجني اليوم هو غياب بعد النظر في مسألة تحديد مواقع مصانع كهذه وعدم تحمّل مسؤولية المشاكل التي تسببها».

فتحت ديللا الدرج الأقرب إليها وتناولت أحد الملفات ثم عادت به إلى الطاولة وفتحته على حضنها أثناء شربها الشاي من الكوب الذي سكبته ماري.

- إذاً، لقد بنيت المنازل أولاً؟

- أجل، أتذكر عندما بدأت تدور أحاديث عن بناء منطقة صناعية هنا. لقد أعربنا عن قلقنا لكن الحكومة آنذاك أكدت لنا أن العمل سيقتصر على الصناعات الخفيفة والخردة وما إلى هنالك. تراجعنا بسبب وجود العديد من الشبان هنا ممن يحتاجون إلى عمل. أتودين قطعة كعك يا عزيزتي؟

تناولت ديللا قطعة من الطبق: «شكراً لك».

لم تتناول سوى البيتزا في نهاية عطلة الأسبوع. ولم يكن ذلك ليحصل لولا الكمية الزائدة التي طلبها لوك، يوم الجمعة الفائت.

- اكتشفنا لاحقاً أن المجلس المحلي منح درمونت حسومات كبيرة للانتقال إلى هنا. والبقية تعرفينها.

وفيما كانت ديللا تقضم الكعكة غضّنت أنفها للرائحة الكريهة الآتية من الخارج ونظرت من الشباك إلى الخارج.

- آسفة يا عزيزتي فقد تركت الشباك مفتوحاً. لا أحب أن تعمل مكيفات الهواء دائماً لا سيما في الربيع حين يكون الطقس جميلاً.

وأغلقت النافذة قبل أن تضيف: «الهواء المنعش الآتي من الخارج اسم

على غير مسمى في هذه الناحية».

قطبت ديللا حاجبيها وقالت: «لقد زرت المعمل لعقد بعض الاجتماعات لكني لم أشتم شيئاً مثل هذه الرائحة».

هزت ماري رأسها وقالت: «ثمة سببين لذلك. أولاً لعل موعدك كان في غير موعد التهوئة. أتوقع أن يكون طوم قد رتب اللقاء في وقت يناسبه. ثانياً، تقع المكاتب في جهة بعيدة عن المصنع والرياح تهب في هذا الاتجاه. فليتحمل السكان الرائحة بدلاً من الموظفين».

أجابت ديللا: «أعتقد ذلك».

تساءلت عن السبب الذي منعها من الاستفسار أكثر عن كيفية عمل المصنع، لكنها لم تكن مهتمة بمعرفة الحقيقة آنذاك. لم تكن تكترث سوى بالقيام بوظيفتها جيداً. أخذت نفساً عميقاً تطرد به حنقها وأضافت: «أخبرني لوك قليلاً عن العمل الذي تودّون أن أقوم به لكني أفضل أن أسمع التفاصيل منك أنت، إن لم تمانعي».

ضحكت ماري قائلة: «إنه حبيبك، أليس كذلك؟».

شهقت ديللا وقالت: «نحن صديقان قديمان».

شعرت ديللا بالحرارة تصعد إلى خديها عند ما تفرّست ماري بها. وانزعجت من أن ترى ماري حقيقة مشاعرها في عينيها فسألتها عن المؤتمر الصحفي.

قطبت ماري وسألت: «هل أنت متأكدة من أنك قادرة على المساعدة؟ قال لوك إن لديك الكثير من المعلومات. لا أريدك أن تشعري أنك مجبرة على فعل ذلك».

كانت ممتنة لأنها أعطتها خيار التراجع بكرامة، لكن هذا آخر ما تريد فعله. أومأت وقالت: «سأفعل ذلك إن كنت تريدين طبعاً؟».

- طبعاً، أريد. الاحتراف هو ما ينقصنا الآن. وهذا ما كنت أفكر فيه بالنسبة إلى المؤتمر الصحفي.

وبعد عشرين دقيقة من النقاش، بدأت ديللا تتساءل من منهما

www.elromancia.com

صاحبة الخبرة. ورفعت ناظريها عندما سمعت جرس الباب يرن.

قالت ماري: «عذراً، سأرى من الطارق. تناولي المزيد من الكعك».

أخذت ديللا قطعة كعك وأجالت نظرها في المشهد الذي بدا من النافذة. لم يسعها أن تتصوّر نفسها تحتمل روائح مثل تلك التي اشتمتها سابقاً. قال طوم إن السكّان يتذمّرون لمجرد التذمر وقد شعرت بأنها بلهاء.

قالت ماري وهي تدخل الغرفة مجدداً: «انظري من أتى. إنه فتاك الوسيم الشاب».

استدارت ديللا في مقعدها وقالت: «ماري، أخبرتك أننا مجرّد صديقان».

- أتريد كوباً من الشاي لوك؟

- كلا شكراً لك. أتيت لأصطحبكما إلى الغداء.

نظرت ديللا إلى الكعكة التي في يدها وقالت: «لا أظن أنه يجدر بي تناول شيء آخر».

- لا تكوني حمقاء ديللا. سنتناول الغداء مع لوك طبعاً، فأنا لن أفوت عرضاً كهذا من شاب وسيم. انتظرا فقط حتى أحضر حقيبة يدي.

تنهدت ديللا تنهيدة عميقة. كانت تعرف أنّ اعتراضها لا جدوى منه عندما يتعلق الأمر بمواجهة شخصين عنيدين.

قادهما لوك إلى مطعم على الشاطئ حيث جلس الثلاثة تحت مظلة واسعة. تلاعب نسيم البحر بقميص ديللا الحريري التي أرجعت كرسيها إلى الخلف، تاركة ماري ولوك يتحدثان.

سألتها ماري وهي تشير برأسها إلى الأولاد على الشاطئ: «رائعون، أليس كذلك؟».

حدقت ديللا فيهم. خسارة وظيفتها والبحث عن وظيفة أخرى جعلاها تنسى قليلاً ما سمعته من الدكتور مورغان، لكن الحقيقة بقيت قابعة عميقاً في لاوعيها. عندما نظرت إلى هذه العائلة شعرت بالألم

يعتصرها وبذلت كل ما في وسعها لتبقى ملامح وجهها عادية.

رمقها لوك بنظرة حيرة ثم التفتت إلى حيث تنظران وقال: «بالحديث عن الأولاد، ألا تعتقدين أن ليني تبدو متعبة؟».

أخذت ديللا نفساً عميقاً، وقد شعرت بشيء من الذنب. إن كانت لين تعاني من مشكلة ما فقد كان يجب عليها أن تلاحظ.

- لم أرها كثيراً هذا الأسبوع لكني أتصوّر أنها تتعب مع الولدين. وباتريك يعمل جاهداً مما لا يترك له الوقت للمساعدة.

- ما أقصده هو أنه يجدر بنا أخذ الولدين منها لنهار كامل.

والتفت لوك إلى ماري يقول: «لين هي أختي وصديقة ديللا».

سألت ديللا: «عذراً، هل ما سمعته صحيح، أنت وأنا علينا اصطحاب الولدين؟».

- حسناً، ستشعر لين بالاطمئنان إن رافقتني وساعدتني على الاهتمام بهما، ألا تظنين؟ يمكننا اصطحابهما إلى المنتزه أو حديقة الحيوانات أو اي مكان آخر.

- ليوم كامل؟

- لاتبدو لي فكرة اصطحابهما لنصف نهار مناسبة.

وهزّ رأسه مفكراً ثم أضاف: «أنا واثق من أن هذا سيمنح لين الحرية ليوم كامل».

قالت ماري: «إنها فكرة جميلة. بعض الوقت للاهتمام بنفسها مع الاطمئنان إلى أن ولديها بين أيدي أمينة. لا يمكنكما منحها هدية أفضل وأجمل من هكذا هدية، ستكون ممتنة لكما».

نقّلت ديللا ناظريها بين ماري ولوك الذي كانت عيناه تلتمعان تحت أشعة الشمس وسألها: «أموافقة؟».

بعثت ابتسامته الدفء في نفسها. وأحبت فكرة اهتمامه بأخته. أرادت بالطبع المساهمة في مساعدتها فقالت: «حسناً موافقة، متى تفكر في اصطحابهم؟».

- سأدعك تعلمين ما أن أتفق معها على يوم محدد. لكن أيناسبك أحد أيام هذا الأسبوع؟

- حسناً، طالما أرتب أوضاعي مع ماري ومستنداتها.

ضحكت ماري وقالت: «انتظرت أربعين سنة تقريباً. أستطيع الانتظار ليوم أو يومين إضافيين».

أجابتها ديللا: «لكن حين تدفعين لقاء أمر ما، فتستحقين استلامه في الوقت المناسب».

هزت ماري كتفيها: «أجل، لكنني لست..».

قاطعهما لوك: «أتظنان أن هذه هي إحدى الدوريات الساعية وراء أسماك القرش؟».

وأشار بإصبعه نحو السماء.

نظرت ديللا إلى الطائرة الصغيرة وابتسمت في سرّها لمحاولة لوك تغيير الموضوع. لم يكن يعلم أنها أدركت مسبقاً من يموّل مشروع ماري.

أجابت ماري: «كلا ليست كذلك. هذه الدوريات لن تبدأ قبل حلول الصيف».

وفيما كان لوك يطرح المزيد من الأسئلة على ماري، أنهت ديللا طعامها وراحت تراقب العائلة توضب أغراضها للرحيل.

أصيبت بنوع من الإحباط واضطربت معدتها عندما فكرت بعقمها. لكن عليها أن تعتاد رؤية العائلات الشابة. وسألت ماري: «منذ متى وأنتما تعرفان بعضكما؟».

رمقت ديللا لوك بنظرة وأجابت: «منذ زمن طويل، ما يجعلني أشعر أنني مسنّة».

ضحك لوك وقال: «التقينا حين كنت في الخامسة عشرة من عمري وكانت ديللا..».

رفع حاجبيه ونظر إليها يسألها: «في الرابعة عشرة؟».

هزت ديللا رأسها مجيبة: «أجل، من عمر لين. في البداية كنت

صديقة لين لكن لوك اعتاد رفقتنا».

وخفضت صوتها وكأنها تشارك ماري سراً وهي تضيف: «حاولنا صرفه مراراً لكنه لم يتركنا وشأننا».

ضحكت ماري وعلقت: «أتصور ذلك، فهو يتمتع بكثير من الإرادة، أليس كذلك؟».

www.elromancia.com

٩ ـ خدمة ونزهة

في اليوم التالي: سألتها لين: «إذن، عدت أنت ولوك صديقين مجدداً؟».

أدارت ديللا عينيها وهي تجيب: «طبعاً، هل كنت تشكين في الأمر؟».

ضحكت لين وردت: «علمت أنكما ستتجاوزان المشكلة. فالأمر يقتصر فقط على الفترة التي ستحتاجينها لتدركي أن لوك أسداك خدمة».

- أجل، هذا صحيح.

- كنت أعني ما أقول. والآن بات لديك متسع من الوقت لأصدقائك، أليس كذلك؟

شعرت ديللا بالذنب وهي تقول: «إني صديقة سيئة، أليس كذلك؟».

- دعك من هذا. كنت أمازحك فقط.

- بل هذا صحيح. كان علي أن أساعدك على الولدين وأحرص على أن تأخذي قسطاً من الراحة.

- حسناً اعلمي أنّ لوك غادر لتوه. لقد أتى إلى هنا مصمماً على خطف ولديّ.

- خطفهما.

- أعني استعارتهما. قال إنكما تنويان اصطحابهما ليوم كامل.

- وقد وافقت طبعاً؟

- طبعاً وافقت. ولماذا أرفض عرضاً كهذا؟ سأقصد إلى مصفف

الشعر وسأهتم بنضارة وجهي وجمال أظافري. سأمضي نهاراً ممتعاً. لكني لا أفهم ما الذي دهاكما أنتما الاثنين.

- نعتقد كلانا أنك تحتاجين لفرصة للاعتناء بنفسك.

- رائع لكن...

- يريد لوك أن يلعب دور الخال الحنون.

- حسناً، أفترض أنه يستغل الوقت ليعوّض ما فاته. لا أود أن أبدو وكأني لا أقدّر العرض. إني أفعل بالطبع.

- على الرحب والسعة.

- أليس معيباً ألا يكون لوك قد أنجب هو وزوجته؟ سيكون أباً رائعاً. ألا توافقينني الرأي؟.

أجابت ديللا وهي تغمض عينيها: «بلى».

- شرط أن يستقر مدة كافية ليكون أباً صالحاً. آمل أن يجد بسرعة امرأة مناسبة ويبدأ بتكوين عائلة قبل أن يتقدم كثيراً في السن بحيث لا يستمتع بها.

علق الهواء في حنجرة ديللا وانحنت تسند رأسها إلى الحائط المقابل. لن تقبل لين بأيّ علاقة بين ديللا ولوك وهي تعلم أن صديقتها لا تنجب وأنها لن تمنح أخاها العائلة التي يحب.

حري بها أن تقلق بشأن عدم إمكانية نشوء علاقة بينهما أصلاً وليس حول مسألة إنجاب الأولاد أولاً.

- ديل عزيزتي، هل مازلت معي؟ هل أحزنتك بحديثي عن الأولاد؟

غصت ديللا وهي تقول: «طبعاً لا».

قالت لين: «لن يصعب على لوك إيجاد شخص آخر. فهو ليس بشعاً، أليس كذلك؟».

- كلا ليس بشعاً.

- أتساءل ما إذا كنا سنجد له امرأة عازبة تناسبهُ. ثمة طبيبات عازبات في مستشفى باتريك. الأمر يستحق التفكير.

www.elromancia.com

- لين، تعلمين أن لوك لن يرحب بفكرة الزواج المدبّر. لم يكن يحب ذلك في سن المراهقة. على أي حال لست واثقة من أنه تجاوز إيفون.

تنهدت لين، «أنت محقة. وماذا عنك؟ هل وجدت عملاً جديداً؟».

- كلا، أقوم الآن بعمل حر. سوف يغطي نفقات هذا الشهر.

- رائع. ربما يجب أن تعتادي هذا النوع من العمل على المدى الطويل. لعله أفضل من قيامك بعمل تمقتينه كالوظيفة الأخيرة.

قالت ديللا مقطبة: «ومن قال لك إنني كنت أكرهها».

عضت لين لسانها: «لم أقصد ذلك. آسفة. لكنك تستطيعين الآن إيجاد عمل تحبينه. أعرف أنك كنت تبلين بلاء حسناً وعلى وشك الحصول على ترقية كبرى، لكنك لم تكوني سعيدة. هل كنت سعيدة؟ قولي الحقيقة».

ترددت ديللا وهي تقول: «كنت أعاني من مشكلة مع بعض العملاء، لكني لم أكن أدرك حجم المشكلة».

- وهل عرفته الآن؟

- أجل، أعتقد ذلك.

- هذا جيد، لأني لا أحب رؤيتك تتجاهلين قدراتك ومؤهلاتك الحقيقية.

طرفت ديللا بعينيها وسألت: «وهي؟».

- حسناً، إحداها هي التعاطف مع الآخرين. لطالما كنت تجيدين فهم القصص من كافة جوانبها والاستماع للآخرين.

أمالت ديللا رأسها جانباً وقالت: «أتعتقدين ذلك؟».

- حسناً، ما الذي تنوين فعله الآن وقد فهمت ما الذي ينبغي بك ألا تفعليه؟

- هنا تكمن المشكلة، لا أعلم. أشعر بنوع من الفراغ. كان لدي أهداف لم تعد موجودة فجأة. أشعر أنني أفقت من نوم طويل وأنني مشتتة وضائعة.

أطلقت لين صفرة خفيفة وقالت: «أظنني أفهم ما الذي تقصدينه. وكأنك كنت تستعدين للعب دور تمثيلي ثم جاء المخرج وسحب السيناريو من يدك ورماه بعيداً. كل ما أستطيع قوله يا ديللا هو استمعي لحدسك. دعي إحساسك يريك الخطوة اللاحقة».

ثم أصدرت صوتاً ينم عن انزعاج وتابعت: «المزعجة كايسي تبكي. حسناً سأحصل على فرصة طويلة غداً، أليس كذلك؟ لا يسعني الانتظار. يجب أن أذهب. آمل ألا تسبب لك المتاعب غداً. إلى اللقاء».

ظلت ديللا واقفة للحظات طويلة تضغط الهاتف إلى صدرها. كانت ترغب في الحصول على وظيفة تجعلها تشعر بأنها تقوم بعمل مفيد، لكن المشكلة تكمن في الديون المتراكمة عليها والالتزامات المالية الأخرى. العمل الحر لا يؤمن لها ما يكفي لتسديد ما عليها من مستحقات. وبما أن الأمور على هذه الحال، يبدو أن عليها التخلي عن السيارة. لم يكن يروقها التخلي عن السيارة التي تحب وسيحزنها الأمر لكنها لا تملك خياراً آخر.

أفاقت من شرودها. إن كانت مضطرة للتخلي عن بعض الأمور المادية فسوف تفعل. ستحافظ على الأقل على كرامتها. يمكنها أن تبدأ من جديد. لقد بنت حياتها من العدم سابقاً وستفعل مجدداً، لكنها هذه المرّة ستحسن الاختيار.

عادت إلى الكتيب الذي كانت تعمل عليه لحساب ماري وأجبرت نفسها على التركيز عليه. أرادت أن تشعر أنها تكسب المال بجدارة.

إنه مال لوك.

وعندما مرّ لوك ليقلّ ديللا صباح اليوم التالي، كانت مستعدة ومتشوقة وسألته: «هل قررت إلى أين تريد اصطحاب الولدين؟».

- حسناً، قالت لين إن الأبسط هو الأفضل. من الواضح أن جايمي لا يحب سوى كرة القدم الأميركية لكن لم يتسنّ لباتريك أن يصطحبه إلى المنتزه. وتعلمين كيف هي حديقة منزلهم.

www.elromancia.com

كانت ديللا تعلم أنها يابانية الطراز وفقاً للذوق باتريك.

- بالحديث عن الحدائق، كيف حال حديقتك؟.

- تنعم بالحياة. وآمل أن أبقيها كذلك. لو زرعناها بعد بضعة أسابيع لما حظيت بفرصة للنجاة من الحرّ.

- صحيح، لقد اخترت التوقيت المناسب لأزرعها.

أعفاها وصولهما إلى منزل لين من الإجابة. كانت لين تنتظرهما فتبادلا السيارات حيث أخذ لوك سيارتها المجهزة بمقعدين لولديها بينما أخذت هي سيارته مع ابتسامة عريضة على وجهها.

نادتهما من نافذة السيارة المفتوحة: «ها قد بدأت فرصتي. سأبقي هاتفي شغالاً في حال استجد أي طارئ».

أنهت ديللا تثبيت كايسي في المقعد الخاص بها في حين وضع لوك الأغراض التي سيحملونها معهم في الصندوق. قال جايمي وهو يحمل مجموعة من العيدان: «وهذه أيضاً».

سأله لوك: «وما هذه؟».

- طائرتي الورقية. لم تستطع أمي تركيبها فقالت إنك ستفعل.

ضحك لوك لديلا عندما انضمت إليه قائلاً: «سوف يكون يوماً رائعاً».

ابتسمت له وقالت: «آمل أن تظل على رأيك مع نهاية اليوم».

لف ذراعه حول كتفيها قائلاً: «لا تقلقي سنمضي وقتاً ممتعاً. فقط أنا وأنت والولدين. تماماً كعائلة سعيدة».

سرت قشعريرة في جسمها كله ولم تجب، فشد على كتفيها قبل أن يعود لملء السيارة بالأغراض.

قال لوك: «حسناً، هيا إلى السيارة».

في السيارة، كان لدى جايمي وكايسي الكثير ليقولاه لديللا التي اكتفت بالتعبير عن اهتمامها بالضحك. ومع وصولهم إلى المنتزه كانت قد تماسكت من جديد.

في البدء لعب الثلاثة بالطابة فيما راحت كايسي تراقبهم بفرح. لكن حين بدأت تضجر انسحبت ديللا من الفريق الثلاثي وأخذتها في نزهة في الحديقة. عندما أطلت الشمس من خلف غيمة تحجبها أخذت ديللا قبعة ووضعها على رأس كايسي وبدأت تغطي لها عينيها بيدها ثم ترفعها فتضحك الفتاة بسرور. بعدئذ، دفعت ديللا العربة على العشب نحو بحيرة صغيرة لتستمتعا بمنظر البطات حيث انضم إليهما لوك وجايمي.

قال لوك وهو يجلس على الأرض بقربها: «لا بد أنه وقت الغداء».

- لك أو للبطات؟

رفع بيده نصف قطعة خبز: «أتيت مستعداً».

- أكرر السؤال. أهي لك أم للبطات؟

قال جايمي يمد يده حاملاً بعض الخبز: «للبطات».

اقتطع لوك بعض الخبز وأعطاه لجايمي قائلاً: «لا ترمه كله دفعة واحدة وإلا قد تصيب رأس البطة وتغرقها».

ضحك جايمي فيما ركع لوك بجانبه مشيراً إلى البطات التي لم تحصل على حصتها ليصوّب جايمي نحوها رميته التالية. عضت ديللا على شفتها وقد خطر لها أنه الرجل النموذجي، الرجل الذكي المعطاء. لم تصادف يوماً رجلاً مماثلاً ولن تفعل.

- هل يمكننا تركيب طائرة الورق الآن يا خالي لوك؟

رمى جايمي ما تبقى من خبز في الماء وهرع لإحضار طائرته الورقية فتبعه لوك.

عندما بدأت كايسي تتململ متضايقة، حملتها ديللا وربتت لها لتهدأ. مشت على مهل نحو لوك وجايمي اللذين يجمعان الطائرة، ويحاولان جعلها تطير في الفضاء. وبعد عدّة محاولات نجحا في جعلها تحلق عالياً فصرخ جايمي من الفرح وقال بأعلى صوته: «انظروا، إنها تطير».

قالت ديللا وهي لا تعلم من يشعر بفرح أكبر لوك أم جايمي: «رائع».

www.elromancia.com

وصل لوك وجايمي في الوقت المناسب بعد انتهائها من تحضير الطعام.
قال لها لوك وهو يتناول سندويشاً من العلبة البلاستيكية: «أريد منك خدمة».

نظرت إليه وقد ضاقت عيناها وسألته: «ما هي؟».

- لا تقلقي.

وتناول قنينة من الماء مضيفاً: «أحتاج لتحديد موعد لحفل عام. ليس بالأمر العظيم».

كانت نبرته عادية، لكن لماذا تولد لديها إنطباع أن جوابها مهم بالنسبة إليه؟ أمالت رأسها جانباً وحدقت فيه لبرهة طويلة ثم قالت: «لا بأس وسأذهب معك. ما نوع الاحتفال؟».

- احتفال لجمع التبرعات.

- أهي من أجل المجموعة التي تعمل لحسابها؟

- أجل. وشكراً. أظن أنك ستستمتعين كثيراً.

استدارت نحو جايمي تقنعه بالجلوس أثناء تناول الطعام وسألها لوك: «كيف تستطيعين أن تتعاملي مع الأولاد بنجاح».

هزت كتفيها وأجابت: «لا أظن أني بارعة في ذلك كثيراً».

- أتذكر كيف كنت تساعدين أمي. لين لم تكن نافعة أبداً فهي دائمة الانشغال بتجعيد شعرها أو تمليسه. كانت دائمة الانشغال على أي حال. أما أنت فكنت دوماً تجدين الوقت لمساعدتها.

- كانتا رائعتين. كنت أحسد لين لأن لديها شقيقتين.

هز رأسه وسألها: «وهل ما زلت تحسدينها الآن لأن لديها طفلين وأنت لا؟».

أخذت نفساً عميقاً وشعرت بقلبها يخفق بقوة في صدرها. ظنت للحظة أنه يعرف الحقيقة ولم تتصوّر أنها قادرة على مواجهة ذلك والتعامل معه.

بدا جائراً وانحنى نحوها يسألها؟ «ما الخطب يا صغيرة؟».

لم يكن يعرف.

قالت قبل أن تعود لتأخذ نفساً طويلاً عميقاً: «لا شيء».

وفيما هي تراقب جايمي الذي جلس على طرف الحصيرة، قالت بهدوء: «إذاً، هل نزهة اليوم هي لأنك تفتقد أطفال الميتم أم لمساعدة لين؟».

ارتسمت على وجهه مشاعر متعددة قبل أن يجيب: «لم أفكر في الأمر ملياً، لكنك محقة. لعلي أناني أكثر مما أتصور».

راقبته وهو يغرق في أفكاره وشعرت بغصة فقالت: «أنت أناني؟ لست كذلك».

ودفعها دافع أدهشها هي نفسها كي تنحني وتعانقه عناقاً سريعاً فاستقام في جلسته وقد اسودّت عيناه.

تنحنح وسألها: «ولماذا أستحق ذلك؟».

- لأقول لك شكراً.

- على ماذا؟

ابتلعت ريقها وقالت: «لأنك أبعد شخص عن الأنانية عرفته في حياتي».

بدا متزعجاً وقال: «هذا ليس صحيحاً. الحقيقة بعيدة كل البعد عما تقولين. مرت أوقات في الماضي... لم أهتم فيها بسوى نفسي. ولم أكترث بسوى حماية نفسي».

راقبته للحظة طويلة قبل أن تتخذ قرارها وتقول: «هل تظن أنني أنانية أيضاً؟».

- قطعاً لا.

- حسناً. ما كنت لأجتاز فترة طفولتي لو لم أحم نفسي.

اقترب منها وأمسك ذراعها برفق وقال: «دليلا أنت لا تقارنين الأمور بشكل صحيح».

- الأمور متشابهة. لقد مرّ كلانا بأزمات. مختلفة نعم، لكن آثارها

متشابهة.

هز رأسه: «كنت حينها رجلاً ناضجاً، في حين أنك كنت طفلة.

- لا يمكننا أن نسيطر على ما يحدث لنا في أي عمر كان. لا يمكننا السيطرة على مجرى الأحداث الخارجية. كل ما نستطيع فعله هو ضبط ردود أفعالنا على تلك الأحداث. ردود الأفعال تلك تبقى معنا لزمن طويل.

- لكن ماذا إن كانت تشعرنا بالخزي؟.

- نعمل على تغييرها.

مرّر يده في شعره وقال: «الأمر ليس بهذه البساطة يا ديللا».

- بل إنه كذلك. أخبرتك أني سامحت والديّ. كيف تظنني فعلت ذلك؟

- ليس لدي أي فكرة.

- سمحت لهما ذهنياً أن يكونا كما يشاءان. تقبّلتهما كما هما وتقبّلت أن واقعهما لا يمت إليّ بشيء. توقفت عن التفكير بالأمر وكأنه موجّه ضدي شخصياً ثم راجعت ردود أفعالي حيال تصرفاتهما وغيّرتها. وبدلاً من أن أكرههما صرت أشفق عليهما.

وتوقفت لتشرب بعض العصير بعد أن شعرت بجفاف في حلقها. لم تكن معتادة على الحديث عن أمور خاصة كهذه، ولم تكن لتفعل لو لم تدرك أن لوك بحاجة لمعرفة تلك الحقائق. استدارت وعادت تنظر إليه فوجدته يحدق في الأفق بعينين لامعتين. أكانت الدموع تملأهما؟ طرف بعينيه ونظر إليها فالتقت نظراتهما.

- أفهم ما تقولين لكن وضعي مختلف ولا يسهل عليّ أن أفكر مثلك.

- الأمر ليس سهلاً. لم يكن الأمر سهلاً بالنسبة إليّ كذلك لكن عليك أن ترى الأمور بشكل مختلف. لم تستطع إصلاح المصائب التي شهدتها فظننت أنك فاشل، لكنك في الواقع لم تفشل. لقد لفت انتباه الرأي العام بأسره إلى الظلم الحاصل. لقد فعلت ما عليك فعله. عليك أن تتقبل أنك

فعلت ما بوسعك في ظل الظروف الراهنة.

نظرت إلى جايمي الذي راح يتثاءب وسألته: «أتشعر بالنعاس؟».

- كلا.

لكن عينيه الذابلتين قالتا العكس تماماً.

قالت للوك: «من الطبيعي أن ينام قليلاً في هذا الوقت، كما أن كايسي ستنام قليلاً على ما أعتقد. ماذا علينا أن نفعل؟ لا يمكننا إعادتهما إلى البيت إذ لن تكون لين هناك. يمكننا الذهاب إلى منزل والديك فهو أقرب من منزلي».

- كلا فهما ليسا في البيت. دعينا نذهب إلى الفندق حيث يمكنه أن ينام في غرفتي.

قطبت وسألته: «في غرفتك في الفندق؟».

- أجل فكل ما يحتاجه هو سرير لينام فيه، أليس كذلك؟

هزت رأسها وبدأت توضب الأغراض. ساعدها لوك وهو يقول: «لم تجيبي عن سؤالي بعد، هل تحسدين لين؟ هل تتمنين أن ترزقي بأطفال؟».

- قطعاً لا.

لم تتفاجأ لسماع لهجتها الحاسمة وأخذت نفساً آخر وأضافت: «في الواقع، لا أتصور شيئاً أسوأ من تربية الأطفال».

- عفواً؟

وحدق فيها لحظات عدة ثم أضاف: «لكن لماذا؟ فأنت تتصرفين بشكل طبيعي مع الأولاد».

وأشار نحو جايمي وكايسي مردفاً: «وهما يحبانك».

إخبار لويك بحقيقة شعورها يختلف تماماً عن الوثوق بلين والاعتراف لها. لا يمكنها فعل ذلك. لذا، خفضت صوتها لئلا يسمعها جايمي وهي تقول: «لا باس بلعب دور العمّة حيث يمكنني إعادتهما في آخر النهار إلى أهلهما».

ظهر في صوته شيء من عدم التصديق وهو يسأل: «أحقاً ما

تقولين؟».

- كما أني أستطيع أن أحب أطفالاً ليسوا من لحمي ودمي. لدي وظيفة أهتم بها ولا أريد أن يلهيني شيء عنها.

- لن يكون عليك التضحية بها، فآلاف النساء يعملن ويربين أولادهن في الوقت ذاته.

- أعلم ذلك، لكن الأمر لا ينطبق عليّ. جدياً يا لوك لا أرغب في دفن نفسي في تربية الأولاد.

- تدفنين نفسك؟ لم أتوقع أن أسمعك يوماً تقولين مثل هذا الكلام.

لم تشأ أن تكذب عليه لكنها تفضل قول ذلك على أن تخبره بحقيقة وضعها.

- هل اختلفتما أنت وإيفون بشأن الإنجاب؟

نظرت إلى ملامح وجهه وهي تطرح السؤال عليه فرأتها تقسو، وأجاب: «أجل».

- هل أردت أنت الأولاد وهي رفضت؟

قال وهو يحمل صندوق الرحلات: «أجل».

- وهل هذا سبب ذلك فسخ زواجكما؟

- أجل.

وتوجه إلى السيارة بتعابير جامدة كالجليد.

يا لسخرية القدر! لم ترغب زوجته في الإنجاب منه في حين أن ديللا تعشق ذلك ولا تستطيع. هذه الحقيقة جعلتها أكثر إصراراً على عدم الافصاح عن مشاعرها. لا يمكنها حتى أن تفكر في تجاوز حدود علاقتهما الحالية، فهي لا تستطيع أن تمنحه العائلة التي يحب ولا يمكنها أن تخاطر بخسارته من أجل ذلك.

كان جايمي قد غفا حين ركن لوك السيارة كما بقيت كايسي نائمة فحملا الطفلين إلى الغرفة في الفندق.

تراجع لوك وراقب ديللا وهي تخلع حذاء الصبي وتغطيه كما رآها

تقبّلهما قبل أن تبتعد عن السرير مبتسمة.

لم يقتنع بكل التفاهات التي قالتها في المنتزه عن عدم رغبتها في الانجاب، فالأعمى كان ليلاحظ مدى توقها إلى ذلك. تذكر بوضوح كيف كانت تعتني بأختيه الصغيرتين، وتتصرف معهما بشكل فطري وطبيعي.

سألها: «كم من الوقت تعتقدين أنهما سينامان؟».

- لا أدري. أعتقد أن جايمي ينام حوالى الساعة بعد الظهر، أما كايسي فستستيقظ قبله وستحتاج إلى الطعام.

- هل نشرب القهوة في هذه الأثناء؟

- طبعاً.

كان مرتبكاً. فمنذ أن أخطأ ذاك اليوم وعانقها وهو يحاول التفكير فيها على أنها مجرّد صديقة. لكن كلما حاول بجهد أكبر كلما وجد صعوبة في ذلك.

رغب في أن يلمسها ويأخذها بين ذراعيه. وفجأة بدأت الغلاية تصدر الفقاقيع وتغلي بجنون. ما خطبه؟ وكان الجواب واضحاً. عليه أن يصفي أفكاره ويستعيد هدوئه مجدداً.

www.elromancia.com

١٠ - ستكون اباً رائعاً

استدارت ديللا نحوه حين سمعت صوته قريباً وأخذت فنجان القهوة من يده وهي تبتسم له شاكرة. نظرت إلى الكنبة فوجدتها ولحسن الحظ كبيرة بما يكفي لتتسع لهما معاً.

سألها لوك: «هل تودين مشاهدة التلفزيون؟».

- كلا، إلا إذا أردت أنت ذلك.

فهز رأسه.

جلست بحذر وتوازن لئلا تنسكب القهوة.

- ما أكثر شيء افتقدته أثناء غيابك؟

زفر وجلس بجانبها ثم قال: «سؤال صعب، أتعنين بعيداً عنك؟».

قالت وهي تدير عينيها: «شيء من هذا القبيل».

ضحك وأجاب: «افتقدتك أنت لا سيما في السنوات الأولى. لقد بقيت وحيداً لفترة وافتقدت الأوقات التي اعتدنا تمضيتها معاً».

هذا باختصار الفرق بينهما. أدركت أنه افتقد صداقتهما أو صديقة حياته السابقة، أما هي فصارعت كي تتابع حياتها بعد أن شعرت بأن قلبها انتزع من صدرها. لا مجال للمقارنة. واضطرت لابتلاع ريقها بصعوبة قبل أن تتمكن من الكلام مجدداً: «لم تمضِ وقتاً طويلاً وحدك فقد تزوجت».

تغيّرت ملامح وجهه وهو يقول: «هذا صحيح».

فقالت بنعومة: «أخبرني عنها».

شرع يقول: «حسناً..».

- هيا أخبرني عن زوجتك، عن إيفون!

- ما الذي تودين معرفته؟

هزت كتفيها قليلاً وردّت: «لا أعرف، أي شيء. لم يتسنّ لي الوقت للتعرف إليها حين أحضرتها إلى هنا. كل ما أعرفه عنها هو شكلها».

حدق في الفراغ وكأنه يرى من خلال جدران الفندق ولاحظت أن عينيه فقدتا تركيزهما.

- إن شكلها هو ما جذبني إليها. شعرها الأحمر المذهل، بخصلاته المجعدة التي تصل إلى خصرها وتلمع تحت أشعة الشمس.

وهز رأسه مضيفاً: «رائع».

كافحت ديللا لتحارب شعور الغيرة الحاد الذي هدّد باجتياحها كلياً. عليها ضبط أعصابها والحفاظ على ملامح وجه طبيعية.

استدار لوك نحوها وقال: «في الواقع، كان مزيفاً».

- شعرها؟

ضحك وهو يجيب، «بل لونه. ومنذ ذلك الحين اكتشفت أموراً أخرى كثيرة مزيفة. وكنت المغفل الأكبر الذي قد تلتقيه يوماً».

- هذا ليس صحيحاً.

- بلى. ما كان عليها سوى أن تشير بإصبعها حتى أهرع إليها زاحفاً وكأنها تشعل بي النار.

عضت ديللا شفتها لتكبح آهتها.

- نعم كنت كذلك. الحب أمر غريب فهو يشل التفكير. إنه أشبه بفيروس يدمّر كل ما يواجهه.

طرفت بعينيها وقالت: «وهل هذا ما حصل لك؟».

هز كتفيه: «لقد زال الشعور بالأسف في فترة قصيرة».

تاهت نظراته مجدداً وانتظرته بصبر ليكمل حديثه. كانت تعلم أنه سيفعل. بدا وكأنه يتحدث عن هذا الجزء من حياته للمرّة الأولى، وبما أنه بذل الجهد ليفعل فسيكمل حتى النهاية.

– كنا نعرف بعضنا منذ أربعة أسابيع عندما تزوجنا. شهر واحد. بهذه السرعة أحببنا بعضنا. أو حريّ بي أن أقول إني وقعت في حبها بهذه السرعة. كانت جذابة جداً وغريبة، أجمل امرأة عرفتها في حياتي.

عضت ديللا شفتها لئلا تصدر صوتاً. لا يمكنها أن تدعه يعرف مدى الأذى الذي يسببه حديثه.

عاد يركز على ديللا ويقول: «كانت علاقتنا عاصفة بالشغف، مجنونة. آسف لإخبارك بكل ذلك».

لوحت بيدها تقول: «لا تقلق. فأنا طلبت أن أعرف، أليس كذلك؟».

وخفضت نظرها إلى فنجان القهوة وشربت منه قليلاً.

أمال برأسه ونظر إليها طويلاً ثم قال: «أفترض أنه كان لديك الكثير من المعجبين».

ضحكت بصوت خافت وردّت: «الكثير الكثير منهم».

اصطك فكاه. وتنهّدت وقالت: «حسناً، ليس الكثير بل صادفت البعض».

التمع شيء في عينيه، ولم يكن لديها ما يكفي من الوقت لتحديد معناه قبل أن يختفي ثم ابتسم لها بحزن.

– لقد اشتعلت النيران وانطفأت.

شدت ديللا على حافة الكنبة بأصابعها وتماسكت قائلة: «هل فعلت».

– في البداية، لم أرغب في أن تبتعد عن عيني لحظة لكني اضطررت للابتعاد طبعاً. فمتطلبات المهنة تدخلت في حياتي مباشرة بعد شهر العسل. وحينئذ بدأت المشاكل.

مالت ديللا قليلاً لتضع الفنجان على طاولة جانبية.

– في بعض الأحيان، حين كنت أنهي كتابة قصة كانت العلاقة الجسدية آخر ما أريده معها.

ارتدت إلى الخلف لتصبح مواجهة له مجدداً.

فقال بابتسامة محتالة: «ما سمعته صحيح. إنه اعتراف خطير، أعلم».

– ليس كذلك بعد كل ما خبرته..

– وتبين في ما بعد أن العلاقة الجسدية هي ما تحتاج إليه وليس أنا.

– إنه أمر مريح.

هز كتفيه وقال: «ما أقصده هو أننا بالكاد كنا نعرف بعضنا عندما تزوجنا. لو أخذنا وقتنا وتعرّفنا جيداً إلى بعضنا، لوجدنا أن ثمة اختلافات عميقة بيننا. لم نكن نتفق على أمور أساسية، أمور تهدم علاقتنا».

نظرت ديللا بعيداً. يعتقد لوك أنه يعرفها جيداً نظراً لصداقتهما الطويلة ومع ذلك فهو لا يعرف أحد عيوبها الأساسية.

– لم يكن يجدر بي الزواج بها لكن الحب يعمي.

وطرحت عليه السؤال الذي يجول في خاطرها منذ عاد: «هل ما زلت تحبها؟».

وضع يديه خلف رأسه ثم حدق فيها مباشرة وقال: «كلا. حلّت النهاية فجأة تماماً كالبداية. نظرت إليها يوماً لأجد أني لم أعد أطيق صورتها فأدركت أني ما عدت أحبها».

حدقت في ملامح وجهه المتصلبة وقالت: «أتعلم، يبدو الأمر هوساً أكثر منه حباً».

مجرد افتتان ينطفىء لهبه بسرعة، وليس مشاعر حب حقيقية كتلك التي تحملها له في قلبها.

صمت لحظة ثم قال: «أجل لعلك محقة. لكن كيف يستطيع المرء أن يعرف أنه واقع في الحب وليس مهووساً وحسب؟».

– الحب الحقيقي أمر مختلف.

وسعلت عندما أحست بالمشاعر تخنقها ثم تابعت: «قد أكون مخطئة، ولست في موقع يسمح لي بإصدار أيّ حكم. لكني أستطيع القول إنك لم

www.elromancia.com

تكن تحب زوجتك على ما يبدو».

استدار ونظر إليها. لم تر أيّ غضب في ملامحه فاستجمعت شجاعتها لتكمل: «الحب الحقيقي متين وهو يدوم ويدوم مهما صادف من خلافات ويستمر مدى الحياة على الأقل. إنه...».

وتوقفت فجأة عن الكلام.

حدق فيها لحظات طويلة وسألها: «كيف تعرفين كل تلك الأمور؟ هل سبق أن وقعت في الحب يا صغيرة؟».

وقفت ومشت نحو النافذة ثم قالت بنعومة وقد وجدت أن الاعتراف فيما هي تدير له ظهرها أسهل: «أجل».

- وهل ما زلت مغرمة؟

بعد لحظة من التردّد قالت بهدوء أكبر: «كلا».

كان لوك هادئاً.

قطع صوت كايسي الصمت وكانت ديللا ممتنة لذلك. فمشت بعزم نحو السرير وبعد أن أطعمت الصغيرة وغيّرت ملابسها استيقظ جايمي من نومه.

سأل لوك: «هل نذهب إلى البحر؟ أعرف منزلاً جميلاً صغيراً هناك».

أجابت ديللا: «ليس صغيراً جداً بل مثالي للعا...».

وانهمكت في تسوية أزرار ثياب كايسي.

جلس لوك على حافة السرير حيث تركع ديلا على ركبتيها وسأل: «هل كنت تحلمين بتكوين أسرة والعيش في ذاك المنزل عند شرائه».

تفادت نظراته الثاقبة وردت: «طبعاً لا. كانت مغامرة عقارية. على أيّ حال، نود أن نذهب إلى البحر أليس كذلك يا جايمي؟».

وافق الصبي بإشارة من رأسه. فقالت ديللا: «جهزت لين حقيبة فيها كل ما يلزم وفيها سراويل قصيرة».

جمع لوك بعض الأغراض الخاصة به ووضعها في حقيبة ثم انطلقوا. لاحقاً، راحت ديللا تراقب لوك وجايمي وهما يبنيان قصوراً من

الرمل فوجدت أن فكرة المجيء إلى الشاطئ سيئة لأن لوك لا يرتدي سوى سروال قصير. ماذا دهاها؟ هل تحب تعذيب نفسها؟.

لبست سروالاً قصيراً وسترة خفيفة. كان النهار دافئاً لكن ليس حاراً بما يكفي ليغريها بالسباحة.

سألت لوك: «هل شاهدت أخبار الليلة الماضية؟ هل رأيت ماري تقود مسيرة احتجاج عند البوابة الأساسية لمصنع درمونت؟».

جلس على عقبيه وأجاب: «أجل، لقد جعلت طوم درمونت يمر بأوقات حرجة، أليس كذلك؟».

- هو من سعى إلى ذلك.

هزت ديللا رأسها وتابعت: «لا أعلم بما كانوا يفكرون عندما سمحوا له بالتحدث علناً».

- حان الوقت لأن يسمع الرأي العام وجهة نظره الحقيقية بدلاً من النسخة المنمقة.

فقالت: «لا تسئ فهمي. فأنا أقف في صف السكان اليوم لكن كل ما أقوله...».

- أنه يحتاج لمدير علاقات عامة كفوء.

- تماماً.

ابتسم لها لوك وقال: «إنه يستحق ذلك، صحيح؟».

- بالطبع.

لكز لوك جايمي: «هل نتسابق لنرى من يصل أولاً إلى الماء؟».

وهب واقفاً. سيكون أباً رائعاً. سيؤسس يوماً ما أسرة وسيثير ذلك حسدها حتماً. وانطلقت من أعماقها تنهيدة. لكنها ستتأقلم مع الوضع. عليها أن تفعل لأنه يستحق أن يكون أباً، لكن التفكير بأمّ أخرى لأولاده يؤلمها.

كم يبدو رائعاً! أرادت أن تحتضنه وتذوب بين ذراعيه. هزت رأسها تطرد الفكرة وهي تقف على قدميها. عليها أن تطرد هذه الأوهام من

مخيلتها. تنهدت وحملت كايسي وبدأت تمشي ببطء نحو الماء تستمتع بالرمال الباردة بين أصابع قدميها. ولم تكن مستعدة لرذاذ الماء المتساقط الذي غطى ساقها وبلل سروالها. استقامت ومسحت نقاط الماء المالح عن وجه كايسي ورمقت جايمي بنظرة ماكرة: «أهذا أنت؟».

تسارعت خطاه وهرب منها فتبعته وملأت قبضتها بالماء ورشته به كردّ انتقامي. وبحنق طفل في الرابعة من عمره تقبّل جايمي التحدي وفي ثوان معدودة كان سروالها يعتصر.

أخذ لوك كايسي من بين ذراعيها: «لا أحب أن أراك خاسرة، الحقي به الآن».

فعلت ذلك فغمست جايمي من رأسه حتى قدميه في الماء تاركة إياه يضحك وبالكاد يستطيع أن يمشي.

قال لها لوك بصوت خافت: «يترني أنك لا ترتدين ملابس سباحة».

نظرت إلى نفسها وهي مبللة بالماء وسترتها تلتصق بجسمها وتبرز مفاتنه. وزاد الطين بلّة نظراته الثابتة الثاقبة التي حملت رسالة واضحة ردّتها بأوضح منها.

وتذكرت ما عزمت عليه فاشاحت بنظرها عنه وهي تقول: «سأذهب لأجفف نفسي».

راقب لوك ديللا وهي تذهب. ما كان عليه التفوه بكلمة واحدة لكنه يحبس رغباته منذ بداية اليوم. وما أن نطق بمكنونات قلبه حتى رأى رغبة واضحة في عينيها وهي تنظر إليه.

إنه يريدها بشدة ويخاف أن تنتهي صداقتهما إذا أخبرها.

وبعد أن أعادا جايمي وكايسي إلى الأم الممتنة، قاد لوك ديللا إلى منزلها. راح يرمقها بنظرات جانبية من حين إلى آخر، لكنها ظلّت صامتة طيلة طريق العودة، من دون أن تبدو غير سعيدة. بدا له أنها تبتسم ابتسامة هادئة وهي تنظر من النافذة.

وعندما ركن السيارة التفتت إليه وقالت: «شكراً على هذا اليوم فقد

كانت فكرة جيّدة إذ استمتعت بوقتي».

- وأنا كذلك.

مدت يدها لتفتح الباب لكنه استوقفها قائلاً: «انتظري».

عادت تلتفت إليه وكأنها تتوقع ما سيحدث وسرعان ما لم يعد قادراً على التحمّل أكثر فغمر وجهها بيديه وقال: «ديللا، عزيزتي..».

اتسعت عيناها فانحنى وطوقها بذراعين دافئتين، من دون أن يشد عليها كثيراً. لم يرغب في أن يضغط عليها جسدياً أو عاطفياً.

وابتعد عنها وجلس في مقعده، فرأى السؤال في عينيها. وسألها: «أتتسائلين ما إذا عانقتك كصديقة؟».

هزت رأسها.

- لا ليس كصديقة.

وسمعها تشهق وهو يُبعد يديه فأردف: «لا أريد أن أضغط عليك يا ديللا ولكنك بحاجة للتفكير في ما ينبغي أن نفعله».

- ما ينبغي أن نفعله؟

- بشأننا نحن.

١١ - إنه يغار

وصلت إلى القاعة للمرّة الثانية وهي تتأبط ذراع لوك. نظرت ديللا من حولها فتعرّفت إلى بعض الوجوه لكنهم من أفراد مجتمع أديلايد البارزين وليسوا من معارفها.

لم تر لوك منذ يوم الأربعاء، وعندما وصل إلى منزلها تلك الليلة شعر كلاهما بالتشنج. لكنه بدا طبيعياً جداً وهو يقودها بين الحشود فاسترخت هي أيضاً. وخلافاً للمرّة السابقة لم تكن تتحمّل أي مسؤولية فعزمت على الاستمتاع بوقتها. داخل قاعة الاحتفال تأملت الطاولات وطريقة تزيينها. كان تنظيم الحفلات أحد أوجه وظيفتها التي تستمتع بالقيام بها لا سيما في الأيام التي تسبق الاحتفال حيث يكون القلق على أشده. وتفاجأت حين أجلست على طاولة تبعد بضع خطوات فقط عن المسرح، فمثل هذه الأمكنة تترك إجمالاً للأشخاص المهمين. وفاجأها لوك مجدداً عندما قدّمها إلى رئيس الجمعية الخيرية ومديرها وبقية الشركاء.

همست في أذن لوك:

- كان عليّ أن أعرف المزيد عن الجمعية ونشاطها لأتمكن من التحدث إلى هؤلاء الأشخاص.

- لا تقلقي. ستشاهدين شريط فيديو وستعلمين عنها الكثير.

رفعت حاجبيها. لقد ظنت أنه أتى ليجمع المال فقط، لكنها قللت من دون شك من تقدير مشاركة لوك في الحفل. ماذا يعرف بعد عن برنامج السهرة؟ ولم يتسنَ لها الوقت لتسأله مع وصول ضيف السهرة وزوجته الفاتنة ليحتلا مكانيهما على الطاولة. إنه شخصية تلفزيونية بارزة بدأ

بالتحدث إلى لوك على الفور.

بقي الكرسي بجانب ديللا فارغاً فظنت أنه سيبقى كذلك لكن سرعان ما اقتربت من الطاولة امرأة حامل يسير خلفها رجل عابس.

قالت المرأة وهي تسحب الكرسي بجانب ديللا: «أحتاج لأن أجلس».

فقال الرجل الذي يرافقها مقاطعاً حديث لوك: «أرجوك يا لوك أخبر تانيا أنه لا يمكنها أن تفعل أكثر مما فعلته حتى الآن».

ضحك لوك لضيفيه قائلاً: «تانيا، لقد قمت بعمل رائع فتوقفي الآن».

ابتسمت له تانيا وهي تقول: «أردت أن يكون كل شيء على أحسن حال من أجلك».

- إنه كذلك، لا يمكن أن يكون أفضل.

أجابته وهي تسحب فوطة من جيبها وتمسح عينيها: «شكراً لك. والآن انظر ماذا فعلت. لا ينبغي أن تكون لطيفاً مع امرأة حامل. إنها الهرمونات».

رمقته ديللا نظرة متسائلة فقال: «عفواً، دعيني أعرّفك».

تبيّن أن تانيا هي مديرة مشروع جمع التبرعات وقد نظمت الاحتفال لوحدها تقريباً.

وصلت الأطباق الرئيسية، فاستأذنت تانيا. نظرت إلى ساعة يدها وأشارت سرّاً إلى العاملين في هندسة الصوت ثم كافحت لتنهض من كرسيها وتربت على كتف الضيف الرئيسي. راقبتها ديللا بكثير من الإعجاب وشيء من الغيرة. جعلتها الموسيقى تدير رأسها نحو المسرح فيما شق الضيف طريقه نحو المذياع. وبعد بضع كلمات من الترحيب قدم الفيلم القصير الذي سيتم عرضه على الحضور فيما خفتت الأضواء.

غطت يد لوك يد ديللا على الطاولة فحبست أنفاسها ورقص قلبها عندما شعرت بأصابعه.

حوّلت انتباهها إلى الشاشة مع بدء عرض الفيلم. وظهرت على الشاشة صورة ميتم يضم مئتين وخمسين فتى وفتاة تتراوح أعمارهم بين ست سنوات وثماني عشرة سنة. ويتألف الميتم من مدرسة ابتدائية، ومركز طبي، وملعب رياضة وحديقة خضار ومختبر كمبيوتر وذلك بفضل جهود الجمعية الخيرية.

راقبت ديللا المشهد وترقرقت الدموع من عينيها وهي تنظر إلى الوجوه البريئة الصغيرة على الشاشة. كان معظم الأطفال من الشحاذين والمشردين الذين يجوبون الشوارع والذي يسعى الميتم إلى تعليمهم مهارات خاصة تسمح لهم بإيجاد وظيفة أو متابعة دراستهم.

طرفت بعينيها عندما أضيئت الأنوار في القاعة ونظرت إلى لوك قائلة: «يمكنني أن أفهم لما أردت العمل مع هؤلاء الأولاد. إنهم رائعون».

قاطعهما الضيف الذي عاد إلى مكانه قائلاً: «فيلم جيد لوك، لقد قمت بعمل رائع».

اتسعت عيناها دهشة: «أنت صوّرت الفيلم؟».

هذا منطقي نظراً للخبرة التي يتمتع بها.

- أجل، لقد فعلت.

وتبعت نظراته خطوات رئيسة الجمعية الخيرية، السيدة فيليس وهي تنهض من كرسيها وتتوجه إلى المسرح.

وقفت السيدة فيليس أمام الميكروفون، وقالت: «يعلم معظمكم أن المدير على وشك التقاعد».

وأشارت برأسها نحو طاولتهم فالتفتت ديللا إلى الرجل الأصلع الذي تعرّفت إليه سابقاً والذي ابتسم ولوّح بيده للحضور.

- أود أن أطلب من كريستوفر اعتلاء المسرح والتحدث عن فترة توليه المسؤولية. أنا واثقة من أنكم ستجدون ما سيقوله مثيراً للاهتمام فأنا أعلم أننا استفدنا من خبرته وقدراته. ستعرفون المزيد عن كريستوفر بعد لحظات. لكن أولاً، أود أن أستغل هذه المناسبة لأعلن لكم تعيين خليفة

له. إنه شاب يملك كل شيء: الشغف والالتزام والخبرة والمهارات التي ستدفع بالجمعية قدماً. لن يتحدث الليلة لأنه يرفض أن يسرق الأضواء من كريستوفر. لكن عليّ أن أقول إنه فعل العجائب كمدير إقليمي لشمال آسيا على مدى السنوات القليلة الماضية. في الواقع، إن الميتم الذي شاهدتموه في الفيلم القصير الذي عرضناه هو النتيجة المباشرة لجهوده ولمساهماته المالية الخاصة. سيقتلني إن قلت المزيد لذا أترك الكلام لأفلاطون الذي عبر بشكل أبلغ بقوله: «يقاس الرجال بما يمكن أن يفعلونه عند استلام السلطة».

وصمتت لحظة ثم أردف: «سيداتي سادتي، أقدم لكم لوك برايفورد».

جلست ديللا مذهولة فيما سُلّطت الأضواء على لوك الذي وقف ولوّح للحضور بيده ثم عاد ليجلس. لم تتوقع هذا أبداً.

توجه كريستوفر نحو المسرح فاقتربت من لوك وهمست له: «لماذا لم تخبرني؟».

ابتسم لها وقال: «أردتها أن تكون مفاجأة لك. اسمعي، حين ينهي كريستوفر كلامه دعينا نخرج لتنشق بعض الهواء النظيف وسأشرح لك».

أومأت ديللا وجلست مستقيمة في كرسيها تستمع إلى كريستوفر.

حاولت التركيز على ما يقوله لكن عقلها ظل يصرخ باسم لوك. لا بد أن الشعور الدافئ الذي انتابها نابع عن افتخارها بصديقها القديم. لطالما عرفت أنه مميز، لكن سماع مدى تميّزه عن الآخرين أحدث إعصاراً في داخلها. كما أدركت أنه قبل بالوظيفة، ما يعني أنه سيبقى في المنطقة وفي حياتها.

لقد أدركت الآن كم تمنت أن يقرر البقاء.

عندما أنهى كريستوفر كلمته عادت فيليس إلى المنصة لتعلن بدء المزاد. سوف يتم بيع أغراض تعود لمشاهير، وكانت ديللا واثقة من أن هذا سيؤمن مبلغاً كبيراً من المال.

دفع لوك بكرسيه إلى الوراء ومدّ يده نحوها فأمسكت بها وتوجها نحو

www.elromancia.com

أريكة موضوعة في زاوية معزولة.

جلست ديللا على المقعد الجلدي وهي تتنهد.

- متى اتخذت قرارك؟ وهل تعتقد أنه يمكنك الاستقرار في مكان واحد؟ وماذا عن الأولاد؟

نظر في عينيها وجلس قائلاً: «لم اتخذ قراري النهائي حتى نهار الأربعاء».

احمرّت وجنتاها لكلامه لكنها لم تجب.

- تحدثت مع فيليس وسأذهب إلى الميتم بضع مرّات في السنة لرؤية الأولاد. سأقوم بجولة مختصرة في كل مرّة أسافر فيها لأتحقق من كيفية سير الأمور.

- يبدو الأمر جيداً. لكن هل سيكون هذا كافياً بالنسبة لك؟

هز رأسه: «عليه أن يكون كذلك في الفترة الراهنة على الأقل».

- أنا فخورة جداً بك. لم أكن أعلم أن مقر الجمعية هنا.

- لم يكن كذلك لكني سأنقل المقر الرئيسي إلى هنا. ليس الأمر بعقبة مع التقدم التكنولوجي الحالي.

- لكن ماذا عن فيليس؟ أين سيكون مكتبها؟

- في ملبورن، لكن منصبها صوري وهي لا تمضي وقتاً طويلاً في المكتب. عندما نحتاج للاجتماع، سأذهب إليها.

- حسناً، لكن ماذا عن المكان الذي ستختاره للمكاتب؟ والموظفين؟ هل فكرت في كل تلك الأمور؟

- لم أكن أضيع وقتي منذ وصولي إلى هنا. سأوقع على عقد الإيجار نهار الاثنين.

اتسعت عيناها: «لم أكن أعلم أنك تفتش عن مكاتب للإيجار».

- أما بالنسبة للموظفين، فأود التحدث إليك بهذا الشأن.

- معي أنا؟

- أحتاج لبديل عن تانيا وبسرعة.

- أثناء إجازة الأمومة؟

- كلا. فهي لن تعود للعمل معنا. ستبدأ عملها الخاص في تنظيم الحفلات في ملبورن. لذا، أحتاج لشخص ما في المجال الإعلامي، وحفلات التبرع وتنظيم الحفلات العامة. فما رأيك؟.

- أتريدني أن أجد لك أحداً يقوم بالوظيفة.

- كلا، هل تقبلين أنت بهذا العمل؟

- أنا!

تسارعت الأفكار في رأسها. إنه نوع العمل الذي تحب القيام به. إنه فرصة للتغيير لكن...

- لا أستطيع العمل لحسابك. لا يمكنني أن أتقبلك كرئيس لي في العمل.

- كنت أفكر بالعمل كفريق. ألا تظنين أننا نشكل فريقاً رائعاً؟

- أجل، ولكن..

- لكن ماذا؟

واقترب منها ولمس خدها بظهر أصابعه مردفاً: «لا تخذليني ياصغيرة فأنا أحتاج إليك».

ابتلعت ريقها. ستعمل ضمن منظمة تؤمن بها، والوظيفة بحد ذاتها رائعة. واجتاحتها موجة من الشعور بالحرية. فهذه الوظيفة قد وجدت لها.

- حسنا، موافقة.

- رائع.

وعانقها بحرارة غامرة، فاخذت نفساً عميقاً وقالت: «أتعلم ما هو هذا».

- أمر جميل.

- بل نوع من التحرش، فأنت رئيسي في العمل الآن.

ضحك بهدوء وقال: «ليس بعد».

- ألم تتفق شفهياً؟.

لمس أذنها بأطراف أصابعه، فسرت في أنحاء جسمها كله رعشة. وقالت: «كما أنه تصرف سيء».

اقترب منها أكثر وهمس في أذنها: «أحقاً، تودين أن أتوقف؟ قولي لي كفى وسأفعل».

قالت له بصوت خافت: «لا تتوقف».

غمرها بشغف وحرارة حتى أنها بالكاد صدقت أنها فعلاً بين ذراعيه، ذراعي لوك، الرجل الذي لطالما تمنته وأحبته بكل جوارحها. استسلمت لعواطفها وبادلته العناق بأحر منه. لكنه تراجع فجأة وقال: «كدت أنسى أين نحن».

أطلقت تنهيدة آسفة فسألها وعيناه تلتمعان: «هل تودين أن ندخل؟».

أخذت نفساً عميقاً وأجابت: «طبعاً، لا أود تفويت طبق التحلية».

- لسنا مضطرين للبقاء لفترة أطول بعد ذلك.

كان المزاد قد أوشك على الانتهاء عند دخولهما مجدداً وبدأ توزيع الحلوى، فرمقت ديللا لوك نظرة وقالت: «تماماً، في الوقت المناسب».

قالت تانيا عندما جلسا:

- لوك لقد وصل المصوّر الرسمي، وأود أن يلتقط لك الصور مع كبار المتبرعين. هل أنت موافق؟

- طبعاً، لك ما تريدين تانيا. أنت تديرين اللعبة في ما يتعلق بالأمور الإعلامية.

ارتسمت على ملامحها تعابير ذات معنى وقالت: «آمل أن تكون قد فكرت في توظيف شخص آخر لأنني سأضع طفلي في غضون أيام. كم عددها يا ديريك؟».

- سبعة.

- سأنجب في غضون سبعة أيام. لذا، حين تستلم مهامك من كريستوفر ستكون وحدك.

لمحت ديللا تغضنات حول عيني لوك المبتسم وهو يقول: «خذي إجازة الأمومة تانيا».

- ينبغي أن يستلم المهمة شخص كفؤ.

- وجدت شخصاً مميّزاً جداً، وستكون قادرة على تولي المسؤولية. لا تقلقي.

ضحكت ديللا، واثقة من مدى قدرتها على القيام بالوظيفة ومن أنها لن تخذله. سوف تنكب على تعلّم خيوط اللعبة. لم يناقشا مسألة الراتب لكن هذا لا يهم طالما أنه يغطي ديونها. ستكون سعيدة وليهتم المستقبل بنفسه.

راقبت لوك وتانيا وهما يغادران القاعة وتناولت الحلوى ثم جلست تستمع إلى موسيقى الفرقة على المسرح. ملأ الضيوف ساحة الرقص وراحت تتساءل في سرها عما إذا كان لوك يرغب في مراقصتها حين شعرت بتربيت خفيف على كتفها. استدارت في مقعدها وطرفت بعينيها لرؤية شخص غريب داكن الشعر لكنها سرعان ما تذكرته. إنه أحد عملائها السابقين ومالك صالة عرض قطع الكترونية. وقفت تصافحه وقالت: «تسرني رؤيتك جيريمي».

- تسرني رؤيتك كثيراً يا ديللا. في الواقع لقد حاولت الاتصال بك.

- هل فعلت؟

- سأشرح لك الأمر إذا رقصت معي.

مدّ يده متوقعاً أن توافق، فقالت: «حسناً».

شدها جيريمي إليه فتوترت أعصابها لكنها حاولت ألا تظهر له مدى انزعاجها.

وبعد حديث قصير سألته: «ما الذي أردت شرحه جيريمي؟».

- سأفتتح فرعاً آخر وأود أن تقومي بالترتيبات مجدداً.

- فهمت، لكني أخشى أني تركت الشركة.

- اعلم. اتصلت بمكتبك بحثاً عنك. ستقومين بتنظيم الاحتفال،

اليس كذلك؟.

- لا أظن أن هذا تصرّف أخلاقي يا جيرمي فأنت من زبائن الشركة ولا يحق لي التصرف.

رفع حاجبيه قائلاً: «لكن ألا يحق لي تغيير الجهة التي أتعامل معها؟ لن يبدو الأمر وكأنك سرقتني منهم».

- لا أعتقد ذلك لكني تلقيت عرض عمل آخر وسأكون منشغلة.

تغيّرت ملامح وجهه وقال: «آسف لسماع ذلك».

عند عودتها من باحة الرقص إلى الطاولة، وجدت أن لوك قد عاد إلى القاعة وهو يبدو متجهماً.

اقتربت منه وسألته: «ما الخطب؟».

حدق فيها بعينين داكنتين وسألها: «من كان ذاك؟».

- من؟ أتقصد جيرمي؟ كان أحد العملاء.

- لم يكن يراقصك وكأنه أحد العملاء؟

قطبت وجهها. بدا واضحاً أنه يغار. وغمرتها موجة من الدفء لكنه مخطئ فهي تريده هو، وتعلم أن أيّ علاقة معه أمر مستحيل فهما ليسا لبعضهما البعض وهي لا تستطيع أن تعطيه ما يريد. انقلبت معدتها لشدة ارتباكها وتسارعت دقات قلبها

قال لها: «كنتما تتحدثان طيلة الوقت».

- عرض عليّ عملاً.

ضاقت عيناه: «وهل وافقت؟».

- طبعاً لا، فقد وافقت للتو على وظيفة جديدة، ألم أفعل؟

استرخت عضلات وجهه قليلاً وسألها: «هل سترينه مجدداً؟».

أمسكت يده الموضوعة على الطاولة قائلة: «كلا، لن أراه مجدداً».

تنفس ارتياحاً وقال: «أترقصين؟».

- ظننتك لن تطلب مني ذلك أبداً.

بدا وضعها سليماً وهي مرتاحة بين ذراعي لوك، وعطره يملأ

أحاسيسها ويتغلغل في مسامها كلها. أرادت أن تكون قريبة منه أكثر لتشعر به لكنها ردعت نفسها، أو بالكاد فعلت.

وبعد برهة رفعت نظرها اليه. كانت تعلم أن نظراته ستخترقها، وتكتشف ما يدور في خاطرها وما تريد. يجب أن يفعل ذلك. عضت شفتها حين انحنى ليهمس في أذنها: «هل أنت مستعدة للذهاب؟».

أجابته همساً: «مستعدة».

توقفا قليلاً عند الطاولة ليودعا الباقين ورحلا بسرعة.

* * *

في طريق العودة إلى المنزل اختلطت المشاعر على ديللا ورمتها في دوامة. ساد الصمت بينهما وارتفع ضجيج مشاعرها حتى ملأ أذنيها وصمّهما. لم تفهم ما يجري لها وهي لا تريد أن تعيش هذه الحالة التي تمزقها لأنها لا تستطيع أن تقيم علاقة حب عادية مع لوك كما لا يمكنها أن تستمر في اعتباره مجرّد صديق. نظرت إليه عند وصولهما وقد شعرت بنفسها ممزقة بين رغبتين، الأولى تدفعها إليه والأخرى تبعدها عنه.

دخلا المنزل وهو يعد نفسه بحب عارم. نظراته فضحت أمره وتكلمت بإسهاب عن مدى رغبته واشتياقه إليها، ولهفته إلى أكثر من صديقة.

شرعت تقول: «اسمع لوك، نحن لا نستطيع أن نكون حبيبين».

لمحت شرارات الغضب تتطاير من عينيه: «لكن لماذا؟ لقد أملت الكثير».

- نحن راشدان ويجب أن يعرف كل منا كيف يحدد خياراته ولا يدع رغباته تسيطر عليه. صحيح أن الانجذاب بيننا واضح، لكن علاقتنا يجب أن تبقى ضمن إطار الصداقة وحسب.

- كيف يمكن أن تتفوهي بهذه الكلمات وعيناك تقولان وقالتا أشياء أخرى. لقد استغليتني وجعلتني أبني آمالاً وأحلم... لتفهميني بعدها أني لا أهمك... تماماً كإيفون.

تركته يتكلم وهي تشعر بالغضب والحيرة والظلم لكن عليها أن تدعه

www.elromancia.com

يرحل. لعل ذلك أفضل لهما لا سيما حين يفهم... يحق له تأسيس أسرة وهي لن تنجب أولاداً ولا يمكنها أن تحرمه مما يستحق. رحل حاملاً معه الكثير الكثير لكن لعل هذا ما يجب أن يكون بالرغم من غضبه الذي قد يحرمها صداقته أيضاً.

لعلها دمرّت صداقتهما وتوهمت أن بإمكانها أن تحتفظ به كحبيب. لقد كانت بغاية الأنانية إذ جعلته يحلم ويتمنى، وتخلت في غمرة أحلامها عن أكثر ما يهمها وهو صداقته. ولعلها بذلك آذته وجرحت مشاعره. لقد رأت الألم في عينيه فقد سمح لنفسه بأن يثق بامرأة مجدداً لكنها ضربت بثقته عرض الحائط. لن يسامحها مطلقاً ولن تلومه على ذلك.

جلست لساعات طوال قبل أن ترى الموج المتلاطم على الشاطئ. إنه صوت عاصفة قادمة.

نهضت من الفراش وتوجهت نحو الأبواب وأوصدتها. يفترض بها أن تعيش أسعد لحظات حياتها بعد أن علمت أن الرجل الذي لطالما أحبته يهتم لأمرها ويحبها لكنها وبدلاً من ذلك شعرت بانسداد في حنجرتها واضطراب في معدتها. وفجأة، أحست بالبرد ولم تعد قدماها قادرتين على حملها فعادت إلى السرير وتقوقعت على نفسها واستسلمت لظلمة اليأس المرعبة.

استيقظت ديللا بعد أسبوع من النوم المتقطع على صوت رنين الهاتف الذي لطالما تجاهلته. لقد أصبحت خبيرة في تجاهل رنين الهاتف. لم تشأ التحدث إلى أي فرد من أفراد عائلة لوك. لم تشأ أن تفكر في نوع علاقتها المستقبلية بلوك، ولا في نظرة عائلته إليها.

أما بالنسبة للين فتمنت أن تعودا صديقتين مجدداً، لكنها لن تتمكن من التحدث إليها الآن.

شهقت تبكي من أعماقها. كيف يمكن لها أن تطلب من صديقتها مشاركتها أعمق حزن في حياتها فيما يرتبط السبب بأخيها؟

نهضت من السرير. كانت تعلم أنها ستنجو وتتخطى حالتها مهما

شعرت بالسوء الآن. لقد مرّت بأوقات عصيبة في الماضي وهذا أقل ما علمتها إياه الأيام. سوف تدفن مشاعرها في أعماقها وتعيش.

أخذت ديللا حماماً وارتدت ملابسها ورتبت غرفتها. لقد عملت بهدوء إنما بكد طوال الأسبوع وأنهت العمل على منتجات ماري. قد تبدأ نهارها بقراءة كتاب ما في الخارج فسوف ينفعها الهروب إلى عالم الخيال وسيتكفل هواء البحر العليل بالتخفيف عنها.

وما أن اتكأت على الحافة حتى لمحت شكلاً مألوفاً يقف بعيداً على الشاطئ. إنه لوك يحدق في منزلها.

تجمّد الدم في عروقها لكن دقات قلبها تسارعت. لم يتصل بها كما لم يحاول التحدث إليها طوال الأسبوع. ما الذي يفعله هنا الآن؟ وما الذي عليها فعله؟ هل يجدر بها الذهاب إليه؟

وقبل أن تتخذ قرارها رأته يتحرك وأخبرها حدسها بأنه متوجه نحو باب بيتها فتراجعت عن الحافة وأخذت نفساً عميقاً قبل أن تنزل لملاقاته. بدا مريضاً، وكرهت الاعتراف بأنهما بديا بحالة سيئة. فتحت له الباب على مصراعيه وأشارت له بالدخول لكنه هز رأسه رافضاً.

سألها بعد لحظة: «هل تودين الذهاب في نزهة؟».

ترددت في القبول لكنها التقطت المفاتيح وتعمدت ترك الهاتف على الطاولة.

مشيا على مهل فوق الرمال ومضت بضع دقائق قبل أن يبدأ لوك الحديث: «أردتك أن تعلمي أن الوظيفة ما زالت لك».

فضلت النظر إلى قدميها بدلاً من رؤية ردّ فعله عندما سألته: «وهل تظن أن عملنا معاً فكرة جيدة؟».

- لن نعمل معاً.

- ماذا؟

- سأعود إلى الهند.

توقفت عن السير واستدارت نحو البحر ثم قالت: «ليس عليك أن

تفعل ذلك. أستطيع ايجاد عمل آخر لي».

على الرغم من صعوبة تخليها عن الوظيفة الحلم إلا أنه يتوجب عليها ذلك.

- لا أفعل هذا من أجلك.

دست أصابع قدميها في الرمال أكثر وهي تنظر في وجهه. وأحست أن كل نفس يطعنها في العمق. ظنت أن قلبها سيتوقف حين رأت ملامح وجهه المتصلبة.

- ومن سيتولى منصب المدير العام؟

- سوف نعمل أنا وفيليس حتى نجد بديلاً.

- وتريدني أن أعمل مع البديل.

- أجل.

ساد الصمت بينهما لكن أحداً منهما لم يتحرك من مكانه. لم يكن هذا هو السكون الهادئ الذي ميّز صداقتهما.

وبعد مرور بضع دقائق رطبت شفتيها ولم تعد تطيق الصمت فسألته: «ومتى سترحل؟».

- سأذهب إلى ملبورن اليوم للتحدث إلى فيليس. وسآخذ طائرة أخرى من هناك غداً.

- لوك...

- لا أعتقد أن ثمة ما يقال بيننا.. ديللا.

- عدا كلمة: أنا آسفة.

- وأنا أيضاً.

ظنت أنها رأت عينيه رطبتين قبل أن يستدير فجأة ويرحل. ظلت واقفة من دون حراك إلى أن عجزت قدماها عن حملها فجلست في المكان عينه على الرمال تحدق في الأفق، لكن كل ما استطاعت رؤيته هو الفوضى التي جلبتها إلى حياتها.

١٢ - قبل أن يرحل

أخرج لوك قمصانه من الخزانة ووضعها في الحقيبة بعد أن أجرى الاتصالات الضرورية ورتب أموره. سوف يرحل مع نهاية النهار. وضع آخر القمصان في الحقيبة وتوجه إلى النافذة ليلقي النظرة الأخيرة على المدينة والتلال المحيطة.

هذا لا يعني أنه لن يعود أبداً. بل سيعود لزيارة والديه ولين وميغان وبوبي. لكن ليس ديللا، أبداً.

شعر بالألم يمزقه ويعتصر قلبه فانفصاله عن إيفون لم يكن مؤلماً إلى هذا الحد. وضغط براحتيه على الزجاج البارد. لقد أدرك أخيراً لما كان يشعر بفرح بالقرب من ديللا وفهم أن الانجذاب الجسدي ليس سوى قمة جبل الجليد. لكن بما نفعه ذلك؟

ما زال لا يفهم ما حدث. لمَ أعطته الأمل وجعلته يعيش الحلم لترفض بعدئذ مجرّد التفكير في إقامةَ علاقة معه؟

وعاودته إحدى الذكريات من يوم اهتمامهما بولديّ أخته حين وقفت أمام النافذة وأخبرته أنها كانت مغرمة. هل كذبت عليه عندما قالت إنها لم تعد كذلك؟ هل من شخص آخر في حياتها؟

وإن كان الأمر كذلك لمَ اخفت الحقيقة عنه؟

تصارعت المشاعر المتناقضة في داخله وسيطرت عليه. لم يتمكن من أن يحكم ما إذا كان رفضها له بسبب رجل آخر يزيد من الألم أو ينقصه، لكنه أدرك فقط أنه يتألم بشدة.

ابتعد عن الزجاج فلديه حقيبة يوضّبها وعائلة يودعها وطائرة

www.elromancia.com

يلحق بها.

ركن سيارته أمام منزل لين ومشى نحو الباب بقلب حزين. كان يعلم أن رحيله سيحزنها لكن ثمة ما هو أسوأ بانتظاره فعليه أن يخبر أمه بقراره.

قالت له لين بعد أن أخبرها بتغيير خططه: «لكني لا أفهم. ظننتك عدت لتبقى، ما الذي تغير في أسبوع واحد؟».

تنهد قائلاً: «الكثير من الأمور».

- ماذا تعني؟

انتابه خوف شديد عندما رأى الدموع في عيني أخته وقطب قائلاً: «لم أكن أنوي التحدّث في الأمر ولكن..».

- لكن ماذا؟

أخذ كايسي من بين ذراعيها وجلس على الكنبة واضعاً الطفلة على ركبتيه وقال: «هل تكلّمت إلى ديللا هذا الأسبوع؟».

- كلا، فهي لا ترد على اتصالاتي. لا بد أنها شديدة الانشغال بعملها.

رفع نظره إليها وقال: «لا أعتقد أن هذا هوالسبب».

- وما هو إذن؟

نظرت إليه لين بحيرة وقد اتسعت عيناها ثم تابعت: «هل اختلفتما؟ حول ماذا؟ ولماذا؟».

تغيّرت تعابير وجهه وقال: «ليني لا أريد التحدث في الأمر. رأيت فقط أنه يجب أن تعرفي فهي تحتاج لصديقة في الوقت الحاضر وأظن أنك كل من تبقى لها».

انتقلت لين من مكانها للجلوس بقربه وقالت: «ما الذي فعلته بها يا لوك؟».

تنهد عميقاً وقال: «هل يجب أن أكون أنا السبب دوماً؟».

- أجل.

- شكراً على ثقتك.

حاول التخفيف من حدّة الأمور لكنه شعر بغضبه يتصاعد مع أنه لم يقصد إظهار مشاعره وقال: «كل ما فعلته هو أنني وقعت في حبها».

صرخت لين فأذهلت كايسي. أخذت الفتاة من بين ذراعيه وتابعت: «ثم ماذا فعلت؟».

هز كتفيه قائلاً: «لا شيء. أين جايمي؟».

- مع والده. لا تغير الموضوع. إنها صديقتي المفضلة وأريد أن أعرف بماذا أحزنتها.

أغمض عينيه وقد انتابه القلق فجأة وقال: «لم أفعل شيئاً. فكرت في الأمر طيلة الأسبوع ولا يمكنني أن أفترض سوى أنها لا تزال تحب الرجل الآخر».

سألته لين مندهشة: «أي رجل آخر؟».

- لا أعلم. إنه شخص تحبه لكنها لا تستطيع الحصول عليه وهي لم تود أن تقول من هو.

أجابت لين: «هذه أخبار جديدة بالنسبة لي ولا أصدقها. لو أنها تحب رجلاً آخر لعلمت ذلك».

فتح عينيه على مهل وقال: «ربما لا. أعتقد أن ديللا أكثر براعة في إخفاء الأمور من الإفصاح عنها. إنها أبرع شخص عرفته».

- قلت إنك تحبها.. فهل يعني هذا أنك تريد الزواج بها؟

استدار ليواجه لين قائلاً: «أردت ذلك. أردتها أن تكون أم أولادي».

- لكن ديللا لا تستطيع...

وتوقفت لين عن الكلام فجأة فعلقت كلماتها في الهواء ولم تستطع النظر في وجهه.

- لا تستطيع ماذا؟

- لقد وعدتها.

تسارعت الأفكار في رأسه وضاقت عيناه قبل أن يسألها: «لا تستطيع

www.elromancia.com

الإنجاب، أليس كذلك؟».

تعابير وجهها أخبرته الحقيقة.

لماذا لم تخبره ديللا بذلك؟ وخطر له حديثهما في المنتزه، فأدرك أن كل ما قالته عن عدم حبها للأولاد مجرّد كلام. كانت تخفي حقيقة عدم تمكنها من إنجابهم.

لقد أخبرها عن خلافه مع إيفون لكنه لم يعطها التفاصيل كلها. لو عرفت الحقيقة كلها.. لاختلف الأمر.

- هل تعتقدين أن ديللا اختارت أن تتركني أرحل بدلاً من إخباري بهذا؟

هزت لين كتفيها: «لم تشأ أن يعرف أحد بالأمر. تشعر أنها فاشلة كامرأة».

شعر بمعدته تنقبض فوقف قائلاً: «علي أن أذهب».

- إلى أين؟ لترى ديللا؟

هز رأسه.

- لا تقل لها إني أفشيت سرّها وإلا ستكرهني؟

- لن أفعل.

- لا تسبب لها الحزن أكثر مما فعلت.

عانق لين وقال: «شكراً لك ليني».

وللمرّة الثانية في اليوم ذاته ركن لوك السيارة بالقرب من منزل ديللا وتوجه نحو الباب. في المرة الأولى كانت خطواته بطيئة متثاقلة، أما الآن فهرع راكضاً إليها. كان يعرف أن الأمر صعب لكن إن رحل من دون أن يعرف فسيظل الموضوع يعذبه. وأخبره حدسه بما عليه فعله.

لم تفتح ديللا الباب. مرّر أصابعه في شعره بضيق. هل خرجت أم أنها تتجنب رؤيته؟ استدار يتأمل الشاطئ فيما كان يحاول اتخاذ قرار بشأن خطوته التالية ثم رآها.

كانت لا تزال في المكان ذاته الذي تركها فيه والأمواج متجهة نحوها

تقترب منها لكنها لا تتحرّك.

لم يشأ أن يخيفها فانتظر حتى صار على مقربة منها وناداها باسمها برقة. رفعت رأسها لكنها لم تستدر.

وتساءل عما إذا كانت تظن نفسها تحلم. توقف عند كتفها وناداها مجدداً. استدارت تحدق فيه مذهولة فرأى وجهها المبلل بالدموع. أحس بقلبه يعتصر... وتمنى أن تكون توقعاته صحيحة.

- سوف تتبللين.

- ماذا؟

- الموجة قادمة.

أشار إلى المياه المتدفقة فنظرت من حولها وقفزت تقف على قدميها ثم تراجعت خطوة إلى الوراء.

استدارت نحوه ببطء تسأله: «ماذا تفعل هنا؟ ألا يفترض بك أن تكون على متن الطائرة؟».

- هل تريدينني أن أذهب فعلاً.

انتظر للحظة. وعندما بدت عاجزة عن الكلام سألها: «هل أستطيع أن أقول لك شيئاً؟».

هزت كتفيها.

- هل أستطيع أن أخبرك لماذا انفصلنا أنا وإيفون؟

رآها تبتلع ريقها بصعوبة وتقول: «سبق أن فعلت».

- لم أخبرك القصة الكاملة. في الميتم حيث كنت، ذاك الذي رأيته في الفيلم، أطفال رائعون، لكن لا يمكنني أن أنكر أني كنت أفضّل شارما وهي فتاة بعمر جايمي تقريباً لطيفة جداً.

- لقد ذكرتها سابقاً. قلت إنها كانت تتبعك كظلّك.

هز رأسه: «عرفتها منذ كانت طفلة وبعد أن تخلى عنها والداها و..».

ورفع يديه بحركة استسلام وتابع: «ماذا عساي أقول؟ كانت نقطة ضعفي».

www.elromancia.com

حدقت فيه.

- عندما تزوجنا أنا وإيفون، رأيت أن الفرصة مناسبة لأؤمن لشارما عائلة حقيقية، عائلة تحضنها وتحبّها فهذا ما لم تعرفه الصغيرة في حياتها.

التمعت عيناها تفهماً: «أردت أن تتبناها؟».

- لا استطيع إخبارك إلى أي حدّ رغبت في ذلك لكني أخطأت حين افترضت أن إيفون سيساورها الشعور نفسه.

الإحساس بالألم للذكرى جعله يتوقف عن الكلام.

قطبت وسألته: «وهكذا تخليت عن الفكرة؟».

- أجل، فالرجل العازب لا يستطيع تبني طفلة صغيرة.

- لا، بالطبع لا.

- عرضوا عليّ منصب المدير العام قبل أن ننفصل إيفون وأنا. وكنت أنوي أن أجلب شارما إلى أديلايد وأمنحها الأفضل.

هزت رأسها: «ولهذا السبب انفصلتما؟».

- كان هذا جزءاً من السبب. فكما قلت سابقاً، اكتشفنا أن آراءنا مختلفة حول مسائل رئيسية وهذه إحداها.

- أفهم كذلك. لكن لماذا تخبرني هذا كله؟ لماذا الآن؟

قام بحركة تنم عن عدم صبر وقال: «لا أعلم. ظننت... شيء ما أنبأني أنك قد تتفهمين».

رفعت إليه عينيها السوداوين وتأملت ملامح وجهه لبرهة ثم قالت: «أفهم أنك لم تحصل على ما تريد وأنا آسفة لذلك. لسوء الحظ، هذا يحصل لنا جميعاً».

تكلمت بهدوء، بصوت خافت أشبه بالهمس. فأحسّ بصدره يكاد ينفجر. اقترب منها خطوة وأمسك بيدها فلم تسحبها ما جعل بصيص من الأمل يشرق في قلبه.

- ديللا، ما الذي تريدينه؟

هزت رأسها قائلة: «لا أظن أن ذلك مهم».

- إذن، ما رأيك بالتبني؟

قطبت وردّت: «لم أفكر بالامر مطلقاً».

- هلّا فكرت فيه من أجلي؟

نظرت إلى يديهما المتشابكتين ثم رفعت نظرها إليه مجدداً. رأى النظرة الحزينة في عينيها اللتين امتلأتا بدموع أخفتها وراء الرموش الطويلة وسألت: «أنت تعرف، أليس كذلك؟».

هز كتفيه من دون أن يجيب.

- هل أخبرتك لين؟

- ليس تماماً. حاولت ألا تفعل.

شهقت وقالت: «كيف أمكنها ذلك؟».

- اسمعي، لا أعرف الحقيقة كلها. توقعت أن يكون لديك مشكلة في الإنجاب، أهذا صحيح؟

أومأت برأسها مرّة واحدة وأشاحت بنظرها.

فرك إبهامه ظهر يدها برفق ولمس بيده الأخرى وجهها وسألها: «هل حصل لك شيء؟ هل من سبب طبي وراء ذلك؟».

تنفست بصعوبة وقالت: «أصبت بسرطان في الرحم».

تصلب وتجمدت يداه وسأل: «لِمَ لست على علم بذلك؟ لِمَ لم يخبرني أحد؟».

هزت رأسها وقالت: «وحدها لين تعرف وقد ظلت صامتة لأني جعلتها تعدني بكتمان السر. لم أخبر أمك لأني أعلم أن ذلك سيحزنها كثيراً ولم أرغب في جعلها تقلق عليّ».

- بالطبع كانت لتفعل فهي تحبك كابنة لها. لكن ما كان عليك أن تتحملي ذلك وحدك.

- لم أكن وحدي فقد دعمتني لين.

رفع ذقنها بإصبعه ونظر في عينيها وسألها: «وهل تعافيت تماماً الآن؟».

www.elromancia.com

هزت رأسها وردت: «ما زلت أقف على قدمي. لقد نجوت وتخطيت الأمر. عليّ أن أكون ممتنة لذلك. والآن، عليّ أن أتقبل حقيقة عقمي».

سالت الدموع على خديها. لم يرها قط تذرف الدموع. رآها تكاد تبكي، لكنه لم يرها يوماً تبكي، وقد أثّر فيه المشهد كثيراً.

- منذ متى وأنت تعرفين؟

- لطالما كان الأمر محتملاً، لكني تأكدت منه تماماً يوم عودتك.

- آسف جداً يا صغيرة.

شدها إليه وعندما وضعت خدها على كتفه اجتاحته موجة من العواطف الجياشة ظن أنها ستذهب بعقله تماماً. أغمض عينيه للحظة ريثما تستعيد دقات قلبه وتيرتها الطبيعية.

أفلتها قليلاً وتراجع لينظر إليها فقالت: «لا أفهم لما أنت هنا».

- لأنني أحبك.

- لوك..

- ما عشته مع إيفون لم يكن حباً... حسناً تعرفين ذلك وقد استنتجته قبلي.

- لا تفعل هذا لوك. لست الشخص المناسب لك.

احتضنها أكثر قائلاً: «بالله عليك يا ديللا، لا تقولي ذلك، بل أنت أكثر من يناسبني».

- ألم تسمعني؟ لا أستطيع الإنجاب.

- ألم تسمعيني؟ إن تزوجت بي، وإن وافقت فيمكننا تبني شارما وربما المزيد من الأولاد من الميتم. سأترك لك قرار تحديد العدد.

- ألا تريد أطفالاً من صلبك؟

هز رأسه.

- هل تريد الزواج بي فعلاً؟ أليس هذا عرض شفقة؟

كانت الدموع لا تزال تسيل على خديها بغزارة.

- أريد حقاً الزواج بك. أحتاجك ديللا. أحب أن أكون بقربك.

تجعلينني أشعر بقيمتي وهذا يهمني فعلاً.

- لكنك رجل صالح لوك. أنت الرجل الأكثر نبلاً وذكاء وسخاءً.

هز رأسه وتصنع ضحكة قصيرة فقالت: «لولاك أنت، لما كنت ما أنا عليه اليوم».

- لا تشكريني على جهودك الجبارة. لقد فعلت كل ذلك بنفسك.

- لكنك جعلتني أؤمن بأني أستطيع القيام بذلك وسلوك طريق في الحياة تختلف تماماً عن الطريق التي سلكها أهلي».

قامت بحركة تنم عن يأس وتابعت: «من دونك من يعلم أين كنت لأصبح اليوم».

- لأصبحت المرأة الجميلة الرائعة التي أراها الآن.

- هل تعتقد أني جميلة؟

أرجع رأسه إلى الوراء وقهقه: «هل تمزحين؟ لطالما اعتقدت ذلك. أشك في الواقع في أني لطالما أحببتك لكني لم أكن أعرف ذلك. أو لعل هذا الحب بقي راقداً، ينتظر الوقت المناسب ليظهر إلى العلن. لا أعلم».

أحكم قبضته حولها وشدها إليه أكثر وأضاف: «لطالما شغلت أحلامي الصبيانية بجنون».

شهقت وقالت: «حقاً! هل ما تقوله صحيح؟».

- أخشى ذلك. ما شعورك حين تعرفين أنك كنت فتاة أحلام عمر المراهقة؟

- شعور... رائع.؟

وضحك ثم عاد يبتسم فجأة بجدية وقال: «عندما قلت إنك رغبت فيّ لسنوات هزني ذلك من الأعماق».

- كان ذلك صحيحاً.

- لماذا لم تلمّحي لي؟ فأنا مغفل تماماً.

هزت رأسها وقال: «لأسباب عديدة ما عادت مهمة الآن».

- خلال السنوات التي كنت فيها بعيداً، بقيت أبحث عن شيء ما ولم

www.elromancia.com

تستطع أي من النساء اللواتي صادفتهن منحي إياه.

وأخذ نفساً عميقاً ثم تابع: «بعد إيفون، ظننت أنه من الأفضل لي البقاء وحيداً لكني لم أكن مصيباً. جعلتني أدرك أني أحتاج لشخص آخر كي أكون سعيداً».

وبعد فترة من الصمت سألها: «ديللا لم تقولي إنك تحبينني. هل هذا بسبب الرجل الآخر؟».

- أي رجل؟

- إنها المرّة الثانية التي تنظرين فيها إليّ وكأنك لا تعلمين عمّا أتحدّث.

وتراجع وترك ذراعيه تسقطان على جانبيه قبل أن يردف: «قلت لي إنك مغرمة بأحدهم، برجل لا يبادلك الحب».

نظرت إليه باستغراب: «آه، ذاك الرجل».

- هل يمكنك نسيانه؟

- لم أحب سوى رجل واحد في حياتي ولا أنوي نسيانه أبداً.

حدّق فيها بعينين لامعتين: «أي...».

- إنه أنت لوك.

تردد قبل أن يسأل: «وما من أحد آخر؟».

- كلا.

ضمّها إليه بقوة وقال: «جيد لأنك لي أنا وحدي ولا أريدك أن تنسي ذلك أبداً».

- وكأني أستطيع ذلك! أحبك لوك.

شعرت ديللا بضجيج دقات قلبه وبعد لحظة رفعت رأسها وقالت له: «ألا تزعجك حقاً عدم قدرتي على الإنجاب؟».

تنهد وردت: «دعينا نتفق على أمر ما منذ الآن. إذا أجبت عن سؤالك هذا فلن تسأليني مجدداً».

هزت رأسها بتردد.

- أبداً؟

- حسناً. أعدك.

- لا يزعجني. أردت الإنجاب من أجلك. ظننت أنه يهمك الحصول على ولد بحيث تعرفين معنى الحنان الذي لم تحصلي عليه.

سالت الدموع غزيرة من عينيها ولم تتمكن من حبسها. لقد فهم لما أحزنها الخبر فازداد حبها له، وفجأة اختفى الاضطراب الذي أحست به في معدتها.

مسح دموعها بإصبعه وابتسم لها: «لكن لديك الكثير من الحب لتمنحيه لأولادنا بالتبني، وهم سيحبونك أيضاً».

وبعد شيء من التردد أكمل: «أنا لن أكترث مطلقاً لعدم وجود دم عائلة برايفورد في الصغار. الأمر ببساطة لا يهمني فالأهم هو تأمين عائلة محبة للأولاد المحتاجين».

ثم ابتسم وتابع: «آمل أن تكتفي بجوابي هذا لأنه الوحيد والأخير الذي ستحصلين عليه».

هزت رأسها وقالت: «لقد اكتفيت به».

ركع على ركبتيه على الرمال وأمسك بكلتي يديها.

- ديللا عزيزتي الصغيرة. لقد تعلّمت منك الكثير على مرّ السنين. علمتني أن أرأف بالأقل حظاً في هذه الدنيا.

أحست بغصة تسد حنجرتها فوضعت يدها فوق فمها.

- قد علمتني الآن كيف يكون الحب الحقيقي وأود بدوري أن أعلمك شيئاً كذلك.

انتظرت وهي تحبس أنفاسها.

- أريد أن أعلّمك معنى أن يحبك أحدهم. أريد أن أمنحك الحب الذي كان يجب ان تحصلي عليه في طفولتك. وأريد أن أمنحك كل حبي، لمدى الحياة.

- آه، لوك.

- هل تتزوجين بي؟

www.liilas-romancia.com

سقطت على ركبتيها فساقاها ما عادتا قادرتين على حملها أكثر. وقالت عبر الدموع المتساقطة: «يشرفني الزواج بك».

- وهل ستحبين فكرة التبني؟

هزت رأسها وردت: «أجل، لعلك عرفت كيف كان والداي لكني أعرف معنى أن يتخلى الأهل عن أولادهم نهائياً».

قبّل جبينها.

- أريد أن أكون أفضل أم لشارما.

- ستكونين كذلك.

- هل ما زلت تود العودة إلى الهند؟

رد مبتسماً: «ليس الآن».

- يمكننا الانتقال إذا أردت.

هز رأسه وقال: «أنا في دياري الآن وقد وجدت ما كنت أبحث عنه».

الخاتمة

راحت ديللا تحدق في زحمة كالكوتا، فرأت السيارات والعربات والباصات المهشمة والقطارات والشاحنات القديمة والأبقار والناس.

أمسكت يد لوك تستمد من حضوره الشعور بالراحة والأمان في هذا اليوم الغريب لكنها لم تستطع أن تشيح نظرها عن المشاهد الخارجية. رأت الكثير من الناس الحفاة والنساء اللواتي يرتدين الزي الهندي التقليدي، كما رأت الشباب والمسنين الذين أحنت الهموم ظهورهم.

وشاهدت فتيات صغيرات يخترقن الحشود وهن يبتسمن أو يضحكن عند طلب النقود. هل تشبه شارما إحداهن؟

كان الأمر بالنسبة لها مخيفاً، لكن الطاقة والحيوية اللتين تطبعان الحياة هنا والابتسامات المرتسمة على الوجوه جعلتها تتشوق للوصول نحو المكان المقصود.

حوّلت انتباهها نحو زوجها وابتسمت له. بالكاد كانت تصدق أنهما زوجان. وعندما وضع لوك ذراعه حولها اقتربت منه أكثر وقالت: «أنا متحمسة لكني خائفة في الوقت ذاته».

فتح لوك فمه ليقول شيئاً لكنه عاد وهز رأسه.

- ماذا؟ ماذا كنت ستقول؟

تنهد وأجابها:

- كنت سأقول لك ألا تخافي لكني خائف أيضاً.

ضحكت قليلاً وقالت: «أنت خائف؟ أنت لا تخاف شيئاً».

www.elromancia.com

شدها إليه أكثر قائلاً: «أخشى أن تغيّري رأيك وألا ترغبي في خوض التجربة».

- لن أغيّر رأيي.

- أنا عرفت شارما منذ أن ولدت. أما أنت فالأمر مختلف بالنسبة إليك.

لمست خدّه برقة وقالت: «لا تقلق».

ثم ضحكت وتابعت: «فجأة، لم أعد أخاف شيئاً. أعلم أن الأمور ستكون على مايرام».

استدارت سيارة الأجرة فنظرت ديللا أمامها ثم سألت لوك: «أهذا هو؟».

هز رأسه.

فُتحت البوابتان على مصراعيهما فدخلت السيارة عبرهما ببطء، متجهة نحو مساحة تحيط بها الأبنية. وفي غضون ثوان أحاط بهما صراخ الأولاد وضحكهم.

دفع لوك الأجرة بسرعة وخرج من السيارة فيما خرجت ديللا من الباب الآخر، فبدأت الأيدي الصغيرة تشدها. وقفت مذهولة للحظة لكن ما أن رحلت سيارة الأجرة حتى تركها الأولاد وتجمهروا حول لوك ينادون باسمه. وسرعان ما اختفى بين جموع الأجسام الصغيرة المبتهجة برؤيته.

وبعد برهة وقف يحمل طفلة بين ذراعيه. واستدار نحوها وابتسم فتركزت نظرات ديللا على الفتاة الصغيرة ذات العينين البنيتين الرائعتين وأخبرها حدسها بأنه يسهل تدليل هذه الطفلة. همس لوك في أذن شارما التي ابتسمت لديللا ابتسامة تكشف عن سن مفقود تماماً كجايمي. وتخيّلت ديللا نفسها مع لين تقارنان تقدّم أبنائهما فيما الأولاد يلعبون سوياً. كادت العواطف تخنقها. إنه حب العائلة الذي ظنت أنها لن تعرفه أبداً.

مد لوك ذراعه نحوها فتقدمت منهما. الزوجة والزوج والابنة، ثلاثي رائع تعلم أنها ستعيش معهما أسعد أيام حياتها.

www.elromancia.com